سلسلة أخبار أجواد الصحابة

عبدالله بن جعفر «الطيار» رضي الله عنهما

قطب السخاء

محمد شريف عدنان الصواف

مكتبة العبيكان

obeikandl.com

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عبدالله بن جعفرالطيار رضي الله عنه

محمد شريف عدنان الصواف – الرياض

٩٩ ص، ١٧X ٢٤ سم – (سلسلة أخبار أجواد الصحابة)

ردمك: ٤ – ٦٩٠ – ٢٠ – ٩٩٦٠م

١– الحسن بن علي بن أبي طالب ٢– الصحابة والتابعون

أ– العنوان ب – السلسلة

ديوي ٩، ٢٣٩ ٢١/١٨١٣

ردمك: ٤ – ٦٩٠ – ٢٠ – ٩٩٦٠م رقم الإيداع ٢١/١٨١٣

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشـــر

مكتبة العبيكان

الرياض – العليا – طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

obeikandl.com

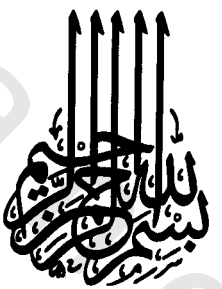

obeikandl.com

obeikandl.com

هذا الرجل

- قال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: «جعفر أشبه خَلْقي وخُلقي، وأما أنت يا عبدالله فأشبه خلق الله بأبيك».

ابن عساكر ١٢ / ٧٤.

- (تعلمنا السخاء من عبدالله بن جعفر).

الحسين بن علي رضي الله عنهما.

- (عبدالله بن جعفر رجل بني هاشم، وهو أهل لكل شرف، ولا والله ما سابقه أحد إلى شرف إلا وسبقه).

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

- (كنتَ والله خيراً لا شَرَّ فيك، كنتَ والله شريفاً وأصيلاً وبراً).

أبان بن عثمان رضي الله عنهما.

- (كان يُسَمَّى بحرَ الجودِ).

الحافظ المِزي.

- (كان عبدالله بن جعفر قطب السخاء).

ابن حبّان البستي.

- **(لم يكن في الإسلام أسخى منه).**

الحافظ ابن عبد البر.

- **(كان كبير الشأن، كريماً، جواداً، يصلح للإمامة).**

الحافظ شمس الدين الذهبي.

obeikandl.com

المقدمة

الحمد لله الحليم الكريم، الرحمن الرحيم، الذي شملت رحمته عباده أجمعين، فأسبغ عليهم من النعم الظاهرة والباطنة ما لا يحيط بها إلا علمه الواسع العظيم، وكان من أَجَلِّ هذه النعم أن بعث فيهم أنبياءه، هداةً مهديين، وجعل أميرهم وخاتمهم سيد الأولين والآخرين سيدنا محمداً الأمين صلى الله عليه وآله وسلم، الذي أرسله الله تعالى للناس كافة، وقال في حقه: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وجعل تعالى من أُمَّته خير الأمم، فقال: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وأثنى على أصحابه – رضوان الله عليهم – في الأولين والآخرين بما لم يُثنِ به على أحد من العالمين، فقال: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ** ﴾ [الفتح: ٢٩].

وإنما استحق الصحابة الكرام هذا الثناء وغيره من الله تعالى بما بذلوه في سبيل نصرة دين الله وتأييده من أَنْفُسٍ، وأهلٍ، وأموالٍ استرخصوها في سبيل الله، وسَخَّروا كل طاقاتهم في سبيل خدمة هذا الدين القويم، فسجل لهم التاريخ في صفحاته من المواقف والأيام ما أشرق به تاريخ الإنسانية البهيم، واستضاء به القاصي والداني، وأثنى عليه العدو قبل الصديق،

والبعيد قبل القريب، فكان هذا جزءاً من مكافأة الله لهم في الدنيا، وما ادَّخره الله لهم من الجزاء في الآخرة أوفى وأعظم.

ولقد توفي النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عن أكثر من مئة ألف صحابي منهم من لم ينقل لنا المؤرخون شيئاً من أخبارهم حتى أسماءهم ومنهم من لم ينقلوا لنا سوى أسمائهم، ومنهم من اقتصروا على بعض أخبارهم، ومنهم من أفاضوا في نقل دقائق وتفاصيل أحوالهم وأقوالهم.

وقد أقبل أكبر الكتَّاب والمؤلفين على سير مشاهير الصحابة وكبارهم وأفردوهم بالكثير من المصنفات والدراسات حتى باتت أغلب سيرهم وأخبارهم معروفة عند الصغار قبل الكبار، وعند العامة قبل العلماء، وبقيت حياة وأخبار عددٍ كبيرٍ من صحابة آخرين مجهولةً عند أكثر الناس ومدفونةً في بطون أمهات كتب التاريخ والسير ومُطَوَّلاتها، يبخل بها الخاصة على العامة، وتَقْصُر هِمَمُ العوام عن الرجوع إلى أمثال سير أعلام النبلاء، والبداية والنهاية والكمال في معرفة الرجال، وغير ذلك.

ومن أجل ذلك فقد عزمت على اختيار أحد هؤلاء الصحابة الكرام، والعمل على إفراد كُتَيّب خاص به، ثم وقع اختياري على الصحابي الكريم عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما، وأخذتُ أفتش فيما بين يديَّ من المصادر عمَّا ذكره المؤرخون والإخباريون من قصصه وأخباره، وأقواله، وما روي من أقوالٍ فيه، فاجتمعت لديَّ مادة جيدة، فَقُمتُ

بتنقيحها وترتيبها على وجه أرجو أن أكون قد وفقت فيه إلى إظهار جوانب مضيئة من تاريخ هذا الرجل الجليل، راجياً من الله المثوبة والقبول، إنه تعالى بالإجابة جدير، والحمد لله رب العالمين.

محمد شريف الصواف

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول
المعدن الطيب والأصل الكريم

قبل البداية في الحديث عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه، لا بد لنا من محطة نتعرف فيها التربة الطيبة التي نبتت فيها هذه الغرسة المباركة، فاستمدت منها أعظم الصفات، وأجمل الأخلاق، وسُقيت من أطهر المياه فأينعت أطيب الثمار.

والحقيقة أن الله تعالى قد أكرم هذا الرجل بشرف عظيم من جهة الآباء والأمهات قلما اجتمع لغيره، وحظي بعناية وتوجيه قلَّما توافر لغيره، فوالده الصحابي الشهيد جعفر الطيار، ووالدته الصحابية الجليلة، ذات الهجرتين، أسماء بنت عميس رضي الله عنها، فمن هو جعفر، ومن هي أسماء؟؟

أولاً - والده جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه:

أمَّا والده جعفر، فهو أبو عبدالله، جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب، السيد، الهاشمي الشهيد، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأخو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو أسَنُّ منه بعشر سنين.

أسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم دار الأرقم، فكان من أوائل المسلمين، وكان عمره لما أسلم عشرين عاماً، هاجر مع زوجته أسماء بنت عميس، وعدد من ضعفاء المسلمين إلى الحبشة فراراً بدينهم من بطش

أهل مكة، وكان أمير المهاجرين، وخطيبهم بين يدي النجاشي، ولمّا هاجر النبي صلى اللهعليه وآله وسلم إلى المدينة المنورة عاد مع أصحابه، فوافوا رسول الله وقد فرغ من غزوة خيبر في العام السابع للهجرة، وقد سُرَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم سروراً شديداً بعودته وقال: «**ما أدري بأيهما أنا أشدُّ فرحاً، بقدوم جعفر أم بفتح خيبر!**»[1]. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ضرب له بسهم يوم بدرٍ.

وحدث أبو قتادة. قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جيش الأمراء[2]، وقال: **عليكم زيدٌ، فإن أُصيب، فجعفر، فإن أُصيب جعفر، فابن رواحة**» **فوثب جعفر، وقال بأبي أنت وأمي! ما كنت أرهب أن تستعمل زيداً عليَّ**[3]؟ قال: «**امضوا، فإنك لا تدري أيٌّ ذلك خيرٌ**» فانطلق الجيش، فلبثوا ما شاء الله. ثم إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صعد المنبر، وأَمَرَ أن يُنادى: الصلاةُ جامعةٌ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**ألا أخبركم عن جيشكم، إنهم لقوا العدو، فأصيب زيدٌ شهيداً، فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء جعفرٌ، فشدَّ على الناس حتى قُتِل، ثم أخذه ابن رواحة، فأثبت قدميه حتى أُصيب شهيداً، ...**»[4].

---

(١) أخرجه الحاكم ٣/ ٢١١ مرسلاً – وابن سعد ٤/ ٢٣١.

(٢) في غزوة مؤتة، وسُمي جيش الأمراء لكثرة الأمراء فيه، واستشهادهم رضي الله عنهم.

(٣) أي ما كنت لأرهب الموت والشهادة حتى تؤخرني عنها وتقدم عليَّ زيداً.

(٤) أخرجه الإمام أحمد ٥/ ٢٩٩، ٣٠٠.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: وجدنا ما في جسده - يوم مؤتة - بضعاً وتسعين من طعنة ورمية[1].

وقد حزن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمقتله حزناً شديداً وذرفت عيناه، ودخله من ذلك همٌّ شديدٌ حتى أتاه جبريل عليه السلام فأخبره أن الله قد جعل لجعفر جناحين مُضَرَّجَين بالدم، يطير بهما مع الملائكة[2].

وروى البخاري وغيره عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: «**أشبهتَ خَلْقي وخُلُقي**»[3].

وقال أبو هريرة: «ما احتذى النعال، ولا ركب المطايا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من جعفر...»[4].

وكان عمره يوم قُتل إحدى وأربعين سنة[5].

وقيل بضعاً وثلاثين سنة[6].

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٢٦١).

(٢) أسد الغابة ١/٢٨٩ - الطبقات الكبرى ٤/٣٧ - وانظر المستدرك ٣/٢١٠ ومجمع الزوائد ٩/٢٧٢، ٢٧٣.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٨)، والترمذي برقم (٣٧٦٩).

(٤) أخرجه الترمذي برقم (٣٧٦٨)، والإمام أحمد ٢/٤١٣، والحاكم ٣/٢٠٩.

(٥) أسد الغابة ١/٢٨٩.

(٦) سير أعلام النبلاء ١/٢١٢.

ثانياً - أمه أسماء بنت عميس رضي الله عنهما:

وأمَّا أمُّ عبد الله فهي الصحابية الجليلة أسماء بنت عُميس من بني خَثْعَمْ، وأمُّها هي خولة وقيل هند بنت عوف.

أسلمت رضي الله عنها قبل دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم دار الأرقم، وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة، ثم إلى المدينة فهي ذات الهجرتين. روى البخاري وغيره أن أسماء رضي الله عنها دخلت على حفصة بنت عمر زائرةً، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء من هذه؟ فقالت: أسماء بنت عُميس. فقال عمر: الحبشية هذه؟ البحرية هذه؟ فقالت أسماء: نعم. فقال عمر: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منكم[1]، فغضبت وقالت: كلا يا عمر، كلا والله، كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُطعِمُ جائعكم، ويَعِظُ جاهلكم، وكُنَّا في دار البعد بالحبشة، وذلك في الله عز وجل، وفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأيْمُ الله لا أَطْعَمُ طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلتَ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأسأله، والله لا أكذب، ولا أزيد على ذلك.

فلما جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت: يانبي الله إنَّ عمر قال كذا، وكذا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **فما قُلتِ له؟** قالت:

(١) قال عمر ذلك لأسماء مازحاً، رضي الله عنهما.

كذا، وكذا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « **ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرةٌ واحدةٌ، ولكم يا أهل السفينة هجرتان**»[1].

وَلَدَت أسماء رضي الله عنها لجعفر أولاده محمداً، وعبد الله، وعوناً. فلمَّا استشهد تزوجها أبو بكر الصديق، فولدت له محمداً، ولما مات غَسَّلَتْهُ هي، ثم تزوجها عليٌّ وأنجبت منه ولده يحيى، رضي الله عنهم أجمعين.

وكان لها رضي الله عنها تسع أخواتٍ لأم: منهن ستٌّ لأمٍ وأب، ومنهن سلمى بنت عميس، وكانت زوجة حمزة بن عبد المطلب، ثم تزوجها شدَّاد ابن الهاد.

وميمونة بنت الحارث، أم المؤمنين.

ولبابة بنت الحارث، أم الفضل، زوجة العباس بن عبد المطلب.

والعصماء بنت الحارث،أمُّ خالد بن الوليد.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «**الأخوات المؤمنات: ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأمُّ الفضل امرأة العباس، وأسماء بنت عميس امرأة جعفرٍ، وامرأة حمزة**»[2].

وروي أن السيدة فاطمة البتول رضي الله عنها دَعَت أسماء عند موتها

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٩١٢) – ومسلم برقم (٢٥٠٣) بألفاظ مختلفة.

(٢) مجمع الزوائد ٩ / ٢٦٠ وعزاه للطبراني.

وشَكَتْ لها من أن المرأة إذا ماتت تُحمَل على خشبة، ويُطرَحُ عليها ثوبٌ يَصِف جسدها، ولا يسترها، فقالت لها أسماء: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أصنع لك نَعْشَا كما رأيتُهُ يُصنَعُ ببلاد الحبشة، فدعت بجرايد رطبةٍ[1]، فَحَنَتْهَا، ثُمَّ جعلت عليها ثوباً - وهو أول نعشٍ صُنع في الإسلام - فتبسمت فاطمة رضي الله عنها لَمَّا رأت ما صنعته أسماء.

ولما تُوفيت فاطمة غسَّلها علي وأسماء رضي الله عنهم، فكان عليٌّ هو الذي يُبَاشِر غُسْلها، وأسماء تُعينُه على ذلك[2].

وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسأل أسماء عن تفسير المنام، وروى عنها عدة أخبارٍ، وفرضَ لها من العطاء ألف درهم، وكان يفرض لغيرها خمسمئة أو ستمئة، وما فرض لامرأة أكثر من ذلك إلا لصفية عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

روت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ستين حديثاً، وتوفيت بعد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بزمن.

---

(١) الجريد: هو ورق النخل.

(٢) انظر المستدرك للحاكم ٣/١٦٤.

الفصل الثاني
ولادة عبدالله ونشأته في رعاية النبي
صلى الله عليه وآله وسلم

بين هذين الأبوين الكريمين المؤمنين؛ ولد عبد الله بن جعفر رضي الله عنه في أرض هجرة أبويه، في الحبشة، وعاش بينهما يحظى منهما برعاية صالحة كريمة، وكان أول مولود للمسلمين في أرض الحبشة، وولد للنجاشي ولدٌ بعد ولادة عبد الله بأيام، فأرسل النجاشي إلى جعفر بن أبي طالب يسأله ماذا سميت ابنك؟ فقال: عبد الله. فسمى النجاشي ولده عبد الله، وأرضعته أسماء بنت عميس بلبن ابنها عبد الله بن جعفر حتى فطمتهما[1]. ثم هاجر مع أبويه إلى المدينة المنورة وبقي معهما حتى استُشهد أبوه جعفرٌ، وعمره وقتئذٍ سبع سنين، فدخل في رعاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع باقي إخوته، ولقي عبدالله من النبي صلى الله عليه وآله وسلم عناية خاصة.

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: إنما أحفظ حين دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أمي فنعى لها أبي، فأنظر إليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي، وعيناه تُهراقان الدموع حتى تقطر لحيته، ثم قال: **اللهم إنَّ جعفراً قد قدِم إلى أحسن الثواب؛ فاخلُفه في ذريته ما خلفت أحداً من**

---

(١) نسب قريش للزبيري ص ٨١.

عبادك في ذريته ثم قال: يا أسماء ألا أبشرك؟ قالت: بلى بأبي أنت وأمي. قال: **فإنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة**. قالت: بأبي وأمي يا رسول الله، فأعلِم الناس بذلك، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأخذ بيدي يمسح بيده رأسي حتى رَقِيَ على المنبر، وأجلسني أمامه على الدرجة السفلى والحزن يعرف عليه، فتكلم، فقال: «**إنَّ المرءَ كثيرٌ بأخيه وابن عمه، ألا إنَّ جعفراً قد استشهد وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة**». ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدخل بيته، وأدخلني فيه، وأَمَرَ بطعام يُصنع لأهلي، وأرسلَ إلى أخي فتغدينا عنده – والله – غداء طيباً مباركاً، فتغديت أنا وأخي معه. فأقمنا ثلاثة أيام في بيته ندور معه كلما صار في بيت إحدى نسائه، ثم رجعنا إلى بيتنا[1].

وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمهل آل جعفرٍ ثلاثاً، ثم أتاهم، فقال: «**ادعوا لي الحلاق**»، فجيء بالحلاق، فحلق رؤوسنا، ثم قال «**أمَّا محمد فَشِبْهُ عَمِّنا أبي طالب، وأمَّا عبدالله فَشِبْهُ خَلْقِي وخُلُقي..**». قال فجاءت أُمُّنَا فذكرت له يُتمَنا، وجعلت تفرِّخ[2] له، فقال: **آلعيلة تخافين عليهم وأنا وليُّهم في الدنيا والآخرة؟!** [3].

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢ / ٧٤.

(٢) أي تذكرُ له ضعفنا، وتشكو له ذلك.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢ – ٧٣، ورواه أحمد في مسنده ١ / ٢٠٤.

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما؛ قال: لما دنوا – يعني جيش مؤتة الذي استشهد فيه جعفر – من حول المدينة تَلَقَّاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون. قال: ولَقِيَهُم الصبيان يشتدون، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقبلٌ مع القوم على دابة، فقال: «**خُذوا الصبيان فاحملوهم، وأعطوني ابن جعفر**»، فَأُتِيَ بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه[1].

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُكثِرُ إذا مرَّ من أمام عبد الله بن جعفر أن يحمله معه، وقد تكررت رواية ذلك في عدة أحاديث منها ما رواه مسلمٌ وغيره عن عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قَدِم من سفرٍ تُلُقِّيَ بالصبيان من أهل بيته، وإنه قَدِمَ مرة من سفر، فَسُبِقَ بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جيءَ بأحَدِ ابني فاطمة، فأردفَه خَلْفَهُ، فَدَخلنَا المدينة ثلاثة على دابةٍ[2].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لقد رأيتُني وقُثَم وعبيدالله بن عباس، ونحن صبيان إذ مرَّ بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «**ارفعوا هذا إليَّ**» فحملني أمامه، وقال لِقُثَم: «**ارفعوا هذا إليَّ**» فحمله وراءه، ومسح على رأسي ثلاثاً، كلما مسح قال: «**اللهم اخلفْ جعفراً في ولده**»[3]. وفي رواية عنه قال:

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٤.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٤٢٨)، والإمام أحمد ١/ ٢٠٣.

(٣) مجمع الزوائد ٩/ ٢٨٥ وعزاه للإمام أحمد.

كُنَّا نلعب، فمرَّ بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على دابة، فحملني أمامه[1].

وعنه رضي الله عنه قال: أردفني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم خَلفه، فأسرَّ إليَّ حديثاً لا أحدِّث به أحداً من الناس[2].

وإنَّ المتأملَ في هذه الصورِ التي تفيض رقةً وعُذُوبَة لَيَلْحَظُ مدى اهتمام النبي بعبدالله وحرصه على تعهده ورعايته، واصطحابه له في كثير من الأحيان. ومن صور الرعاية النبوية له أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يبايع من الصغار غيره هو وعبدالله بن الزبير؛ فقد روي عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما، أنَّ عبدالله بن جعفر، وعبدالله بن الزبير بايعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهما ابنا سبع سنين، فلما رآهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم تبسم وبسط يده، وبايعهما[3].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر أن يتعهد عبدالله ويُرَاقِبَه، ويُوَجِهَهُ، وقد روى عمرو بن خُرَيث، قال: مرَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعبدالله بن جعفر وهو يلعب بالتَّراب، فقال: «**اللهم بارك له في تجارته**»[4].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة: ٦/٣٩.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢/٧٢، وأخرجه ابن الأثير في أسد الغابة ٣/١٣٤.

(٣) المستدرك ٣/٥٦٦ - مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢/٧٤ - سير أعلام النبلاء ٣/٤٥٧.

(٤) مجمع الزوائد ٩/٢٨٦، وقال: رواه أبو يعلى والطبراني.

وفي رواية عن عبدالله بن جعفر: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أساوم بشاةِ أخٍ لي، فقال: «**اللهم بارك له في صفقته**». قال عبدالله: فما بعت شيئاً ولا اشتريت إلا بورك لي فيه[1].

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُكثِر من ملاطفة عبدالله والترويح عنه وخاصة بعد استشهاد أبيه، فعن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلمةً ما أُحِبُ أن لي بها حمر النعم. سمعت رسول الله صلى الله وآله عليه وسلم يقول: «**جعفرٌ أشبَهَ خَلقِي وخُلُقِي، وأمَّا أنت يا عبدالله فأشبَهُ خلقِ الله بأبيك**».

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له: «**يا عبدالله هنيئاً لك مريئاً: خُلِقْتَ من طينتي، وأبوك يطير مع الملائكة في السماء**»[2].

وهكذا عاش عبدالله بن جعفر في رعاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكنفه، وكان قريباً منه ومن أزواجه، ولَمَّا توفيت أمُّ المؤمنين صفية رضي الله عنها، جعلت من عبدالله وصياً ووكيلاً على تنفيذ وصيتها.

وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعُمْرُ عبدالله عشر سنين وروى عنه عدَّة أحاديث.

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢/ ٧٤.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢/ ٧٤.

obeikandl.com

الفصل الثالث
عبد الله بن جعفر مع
أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم

سبق أن ذكرنا أنَّ أسماء بنت عُميس – أمَّ عبد الله – تزوجت أبا بكرٍ الصديق بعد استشهاد جعفرٍ رضي الله عنهم، وهكذا فقد كان من الطبيعي أن ينشأ عبدالله وإخوته في رعاية أبي بكرٍ، وهم إخوة ولده محمد بن أبي بكر من زوجه أسماء.

ولم ترِ لنا كتب السِيرَ والتاريخ شيئاً عن علاقة عبدالله بأبي بكرٍ، ولعل سبب ذلك هو صغر سن عبدالله فقد توفي أبو بكرٍ وعمره اثنا عشر عاماً، وبسبب خطورة وصعوبة الفترة التي تولى فيها أبو بكر الحُكم، وكثرة انشغاله فيها.

وكذلك فنحن لا نعلم شيئاً من أخبار عبدالله مع عمر بن الخطاب. ولم تُروَ لنا إلا قصة واحدة من أخباره مع عثمان، وفيها يتبين لنا حرص عثمان على عبدالله وأمواله، وعلى عدم تضييعها في ما لا جدوى منه ولا طائل، كما توهم ذلك عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كما أنَّ في القصة تصديقاً لدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعبدالله حين قال له: «**اللهم بارك له في صفقته**». قال عبدالله: فما بعت شيئاً ولا اشتريت إلاَّ بورك لي فيه[1].

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢/ ٧٤.

وإليك تلك القصة كما ذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء؛ قال: مرَّ عثمانُ بسَبخة، فقال: لمن هذه ؟ فقيل: اشتراها عبدالله بن جعفر بستين ألفاً، فقال: ما يَسُرُّني أنها لي بنعلٍ. فجزَّأها عبدالله ثمانية أجزاء، وألقى فيها العمال، ثم قال عثمان لعلي: ألا تأخذ على يدي ابن أخيك، وتحجر عليه؟ اشترى سَبْخَة بستين ألفاً!. فلمَّا رآها عليٌّ أراد أن يذهب إلى عثمان ليَحْجر عليه، ثم ذهب عبدالله إلى الزبير بن العوام، وأخبره بخبرها، فقال له الزبير: أنا شَريكُكَ، فبلغَ الأمرُ عثمانَ، فقال لعلي كيف أحجر على شريك الزبير – لأنَّ الزبير كان مشهوداً له بخبرته في التجارة – قال: ثم ركبَ عثمان يوماً، فرآها وقد تغير حالها وأصبحت مزرعة، فبعث إليه، فقال: وَلِّني جزأين منها. قال عبدالله: أما والله ليس دون أن تُرسِلَ إليَّ من سفهتني عندهم، فيطلبون ذلك مني. ثُمَّ أرسل إليه عثمان أني قد فعلتُ. قال: والله لا أنَقُصُك جزأين من مئة ألف وعشرين ألفاً. قال: قد أخذتُها[1].

ولم يرد غير هذه القصة من أخباره مع الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم.

(١) سير أعلام النبلاء ٣ / ٤٦٠، أي لا أبيعك جزأين من الأرض بأقل من مئة وعشرين ألفاً، وكان عبدالله اشتراها بستين ألفاً، وجزأها ثمانية أجزاء كما مرَّ معنا.

الفصل الرابع
عبد الله بن جعفر مع الإمام علي رضي الله عنهم

لقد كان لعلي رضي الله عنه دور كبير في رعاية عبدالله بن جعفر، ورويت عنهما عدَّة أخبار، وعلي هو شقيق جعفرٍ، وأصغر منه بعشر سنوات، وقد تزوج علي من أسماء بنت عميس بعد وفاة زوجها الثاني أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنهم أجمعين، وأنجبت له ولده يحيى فهو أخو عبدالله من أمِّه.

وهكذا فقد كان عبدالله قريباً من الإمام علي، وكان عليٌّ يحبه ويُكرمه، وكان عبدالله يقول: كنت إذا سألتُ علياً شيئاً فمنعني، وقلت له: بحق جعفر! إلا أعطاني.

وأخرج ابن أبي الدنيا والخرائطي بسند حسن عن محمد بن سيرين أنَّ دِهْقاناً[1] من أهل السواد كلَّم ابن جعفر في أن يكلم علياً رضي الله عنه في حاجة، فكلَّمه فيها فقضاها، فبعث إليه الدهقان أربعين ألفاً، فقالوا له: أَرْسَلَ بها الدِّهقان. فردها، وقال: إنَّا لا نبيع معروفاً[2].

ولما تولَّى عليٌّ رضي الله عنه الخلافة كان عبدالله من كُتَّابِه، فكان يَكتبُ له في

---

(١) الدهقان هو رئيس الفلاحين.

(٢) الإصابة ٢/ ٢٩٠.

الكوفة[1]، وكان عبدالله من أُمراء عليٍّ في صفين، أمَّره على قريش، وكِنانة، وأسد[2]،

وروى محمد بن عمر بن علي بن أبي طالبٍ أن علياً رضي الله عنه لم يُقَاتل أهل الجمل حتى دعا الناس ثلاثاً، حتى إذا كان اليوم الثالث دخل عليه الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر، فقالوا: قد أكثروا فينا الجراح. فقال: يا ابن أخي، والله ما جهلت شيئاً من أمره، وقال: صُبَّ لي الماء، فصَبَّ له ماء فتوضأ به ثم صلى ركعتين حتى إذا فَرَغ رفع يديه، ودعا ربَّه، وقال لهم: إن ظهرتم على القوم، فلا تطلبوا مُدبراً، ولا تُجْهزوا على جريح[3].

وروى ابن عساكر أنَّ الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر رضي الله عنهم خطبوا إلى المسيب بن نَجبَة ابنته الجنان، فقال لهم: إنَّ لي فيها أميراً لن أعدو أَمْرَهُ، فأتى علياً، فأخبره خبرهم، واستشاره، فقال له عليّ أمَّا الحسن فإنه مِطلاق، وليس يحظين عنده، وأمَّا الحُسين فإنَّمَا هي حاجة الرَّجل إلى أهله، وأمَّا عبدالله بن جعفر فقد رضيتُه لك، فَزَوَّجه المسيّب ابنته[4].

وأكثرُ عِلم عبدالله وروايته عن عَمِّه علي، ومما رواه عنه ما أخرجه النسائي وغيره من أنَّ عبدالله بن جعفر كان يُعَلِّم بناته هؤلاء الكلمات،

(١) العقد الفريد ٤/ ١٥٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٦٠.

(٣) البيهقي ٨/ ١٨١.

(٤) مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٧٥.

ويأمرهنَّ بهنَّ، ويذكر أنه تلقاهُنَّ عن عليٍ، وأنَّ علياً قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقولهن إذا كَرَبه أمرٌ واشتد به، وهُنَّ: «**لا إله إلاَّ الله الحليم الكريم سبحانه، تبارك الله رب العالمين ورب العرش العظيم، والحمد لله ربِّ العالمين**»(١).

وأخرج الخرائطي في مكارم الأخلاق عن عبدالله بن جعفر، قال: قال لي عليٌّ: يا ابن أخي، إني مُعَلِّمك كلمات سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قالهن عند وفاته دخل الجنة: «**لا إله إلا الله الحليم الكريم - ثلاث مرات - الحمد لله ربِّ العالمين - ثلاث مرات - تبارك الذي بيده الملك يُحيي ويُميت وهو على كل شيء قدير**»(٢).

وكان عبدالله بن جعفر وكيلاً عن علي في خصوماته، فقد كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكرهُ حضور مجالس الخصومة ويقول: «إنَّ الشيطان ليَحْضُرها، وإني لأكره أن أحضرَها»(٣). ولَّما اختصم عليٌّ مع طلحة في ماء بين أرضيهما وذلك في خلافة عثمان وكَّلَ عليٌّ عبدَالله، فركب مع عثمان في نفرٍ من الصحابة إلى الموضع الذي كانا يختصمان عليه، حتى أصلح عثمان أمرَه.

كما وكلَ عليٌّ عبدَالله في جلدِ الوليد بن عقبة لَّما طلب إليه عثمان أن

---

(١) مسند الإمام أحمد ١/٢٠٦، ٤٥٦، وأبو نعيم ٧/٢٣٠.

(٢) كنز العمال ٨/١١١.

(٣) المغني والشرح الكبير ٥/٢٠٣.

يجلده حدَّ الشرب حين صلى بالناس وهو سكران، فجلده عبدالله أربعين، وعلي يعدُّ له[1].

وكانت زينب بنت علي رضي الله عنهما تخطب من أمراء العرب، فزوَّجها أبوها من عبدالله بن جعفر، ثمَّ فارقها، وتزوَّج أختها أم كلثوم بنت علي[2] رضي الله عنهما، وماتت عِنده.

وكان عبدالله بن جعفر هو الذي تولَّى قَتْلَ ابن مُلجمٍ قاتِلَ علي بن أبي طالب[3]، وتولَّى، غسل علي رضي الله عنه مع الحسن والحسين. ثم تزوَّج من زوجته ليلى بنت مسعود[4].

وروي أن بغلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي أهداها له المقوقس، واسمها الشهباء، كانت عند علي رضي الله عنه، ثُمَّ كانت بَعدَهُ عند عبدالله بن جعفر، وأنها أَسَنَّت وطال عمرها، وعجزت عن الأكل، فكان عبدالله يُكرِمُها ويَحُشُ لها الشعير ويقربه إليها لتأكله[5].

---

(١) مسلم برقم (١٧٠٧).

(٢) تزوج أم كلثوم عمر بن الخطاب فلما مات تزوجها عون ثم محمد ولدا جعفر بن أبي طالب، فلمّا ماتا تزوجها عبد الله بن جعفر. (البداية والنهاية ٥/٢٢٣).

(٣) العقد الفريد ٤/٣٣٥.

(٤) الطبقات ٨/٤٦٥.

(٥) البداية والنهاية ٥/٢٣٠.

الفصل الخامس
عبد الله بن جعفر مع الحسن والحسين رضي الله عنهم

يَكبرُ عبدالله الحسن بثلاث سنين، والحسين بأربع سنين، وقد نشأ عبدالله مع الحسن والحسين في كنف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ذكرنا عدداً من صور حياتهم معه، وكذلك كان الأمر في رعاية علي كرم الله وجهه، وازدادت هذه العلاقة بينهم مع الأيام رسوخاً، وقد روت كُتُبُ السِيَر والتاريخ صوراً لطيفة من تفاصيل هذه العلاقة تدلُ على عظيم مكانة كل منهم في قلب الآخر، وعلى كثرة اجتماعهم ببعض، منها ما روته سلمى امرأة أبي رافع رضي الله عنهما، وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم، فقالوا اصنعي لنا طعاماً ممَّا كان يُعجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكله. قالت: يا بَنيِّ، إذاً لا تشتهونه اليوم، فقمتُ فأخذتُ شعيراً فطحنته، ونسفته، وجعلت منه خبزة، وكان أُدْمُهُ الزيت، ونثرت عليه الفلفل فقرَّبته إليهم، وقلت: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُحِبُ هذا[1].

وروي أن معاوية حجَّ فنزل في دار مروان بالمدينة، فطال عليه النهار يوماً، وفرغ من القائلة، فقال: يا غلام، انظر من بالباب، هل ترى الحسن بن علي، أو الحسين، أو عبدالله بن جعفر، أو عبدالله بن أبي أحمد بن جحش، فأَدْخِلْهُ عليَّ، فخرج الغلام فلم يرَ أحداً منهم، وسأل عنهم فأُخبِر أنهم في دار عبدالله

(١) مجمع الزوائد ١٠/ ٣٢٥ وعزاه للطبراني.

ابن جعفر يتغدون عنده، فأتاه فأخبره، فقال: والله ما أنا إلا كأحدهم، ولقد كنت أشاركهم في مثل هذا، فقام فأخذ عصاً فتوكأ عليها، وقال: سِرْ يا غلام، فخرج بين يديه حتى دقَّ عليهم الباب، فقال: هذا أمير المؤمنين، فدخل فأوسع له عبدالله بن جعفر عن صدر فِراشه فجلس، ثم قال: غداءً يا ابن جعفر، قال: ما يشتهي أمير المؤمنين من بيتي فليدعُ به. قال: أطعمنَا مُخاً، فقال عبدالله: يا غلام، هات مخاً. قال: فَأُتيَ بقصعةٍ فيها مخٌّ، فأقبل معاوية يأكل، ثم قال عبدالله: يا غلام، زدنا مُخاً، فزاد، ثم قال: يا غلام، مَخاً، فزاد، فقال معاوية: إنَّما كنا نقول يا غلام زدنا سخيناً[1]، فأمَّا قولك: يا غلام زدنا مُخاً فلم أسمع به قبل اليوم. يا بن جعفر، ما يَسَعُكَ إلا الكثير[2]، فقال عبدالله: يُعِينُ الله على ما ترى يا أمير المؤمنين.

قال: فأمر له يومئذٍ بأربعين ألف دينار، وكان عبدالله قد ذبح ذلك اليوم كذا وكذا من شاةٍ وأمَرَ بمُخِّهِنَّ، فَنُكِت له، فصادف ذلك مجيء معاوية[3].

وروي أن أسامة بن زيد تخاصم مع عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنهم في ضيعة يدعيها كل واحد منهما، فَلَجَّت بهما الخصومة، ثم احتكما إلى معاوية. فلما جلسا للقضاء تقدم سعيد بن العاص إلى جانب

---

(١) السخينة: دقيق يُلقى على ماءٍ أو لبنٍ فَيُطبَخ، ثم يؤكل بتمر أو بدونه، وهو الحَسَاء.

(٢) أي: لا يكفيك إلا الكثير.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢ / ٨٠. وهي من أجمل القصص التي تروى عن كرمه وجوده رضي الله عنه، وستأتي قصص أخرى عن جوده في مكانها.

عمرو يلقنُهُ الحجَّةَ، فتقدم الحسن إلى جانب أسامة يُلقنه، فوثب عتبة بن أبي سفيان إلى جانب عمرو، فوثب الحسين فصار إلى جانب أسامة، فقام عبد الرحمن بن أم الحكم فجلس مع عمرو، فقام ابن عباس فجلس مع أسامة، فقام الوليد بن عقبة فجلس مع عمرو، فقام عبدالله بن جعفر فجلس مع أسامة. فلما كان الأمر كذلك؛ قال معاوية: الجَلِيَّة عندي، لقد حضرتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أقطع هذه الضيعة أسامة[1].

وكان عبدالله يحفظ للحسن والحسين قدرهما، ويستشيرهما في أموره، وأمور أهل بيته، ومن ذلك ما روي من أن معاوية كتب إلى مروان بن الحكم، وهو والي المدينة، أمَّا بعد، فإنَّ أمير المؤمنين أحَبَّ أن يَرُدَّ الألفة، ويَسُلَّ السَخيمة، ويصل الرحم، فإذا وصل إليك كتابي فاخطب إلى عبدالله بن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد ابن أمير المؤمنين، وارغب له في الصَّدَاق. فوَجَّهَ مروان إلى عبدالله بن جعفر، فقرأ عليه كتاب معاوية، وأَعلَمَهُ بما في رَدِّ الألفة من صلاح ذات البين واجتماع الدعوة.

فقال عبدالله: إن خالها الحسين بِيَنْبُعَ وليس ممن يُقضى مثل هذا الأمر بدونه، فأنظرني إلى أن يَقْدُم. فلما قَدِم الحسين ذكر له عبدالله ذلك، فقام من عنده، فدخل إلى أم كلثوم، فقال: يا بُنَيَّةُ إنَّ ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب أَحَقُ بك، ولعلك ترغبين في كثرة الصَّدَاق،

(١) الكامل للمبرد ٢/٦٤٢.

فقد وَهَبْتُكِ البُغَيْبغات[1]، ثم زوجها الحسين للقاسم، فقال له مروان: أغدراً يا حُسين؟ قال له الحسين: أنت بدأتَ. خطب الحسن عائشة بنت عثمان بن عفان، فَزَوَّجتَهَا أنت عبدَالله بن الزبير[2].

ولَّما تُوفي الحسن بن علي وأراد الحسين وبنو هاشم أن يدفنوه في حجرة عائشة قرب قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثارت فتنة بين الأمويين والهاشميين، وكادوا أن يقتتلوا لولا أن تَرَجَّى عبدالله بن جعفر الحسين، وقال له: عزمتُ عليكَ بحقي ألا تكلَّم بكلمة، وأن تدفنه في البقيع، ففعل الحسين ذلك، وانتهت الفتنة[3].

ولَّما توجَّه الحسين لقتال جيشِ يزيد أرسل عبدُالله وَلَدَيه عوناً ومحمداً إليه لِيَرُدَّاه عن ذلك وكتب له كتاباً فيه: أما بعد فإني أسألك بالله لَّما انصرفت حين تنظر في كتابي، فإني مشفق عليك من الوجه الذي توجَّه له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، وإنك إن هلكت اليوم طُفىء نور الأرض، فإنك علم المهتدين، ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالمسير، فإني في إثر الكتاب؛ والسلام.

ثم ذهب عبدالله إلى عمرو بن سعيد بن العاص، عامل يزيد على مكة

---

(١) ضيعةٌ كانت لعلي رضي الله عنه.

(٢) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ١٥٤، ١٥٥.

(٣) مقاتل الطالبيين ١/ ٧٤.

والمدينة، فكلَّمه، وقال له: اكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان، وتُمنيه بالبرِّ والصلة، وتسأله الرجوع، لعله يرجع. فقال له عمرو: اكتب له ما شئت، وائتني به أختمه.

فكتب عبدالله: بسم الله الرحمن الرحيم، من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي، أما بعد، فإني أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك، وأن يهديك لما يرشدك.

بلغني أنك قد توجهت إلى العراق، وإني أُعيذك بالله من الشقاق، فإني أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبدالله بن جعفر، ويحيى بن سعيد بن العاص، فأَقْبِل إلَيَّ معهما، فإن لك عندي الأمان، والصلة، والبرَّ، وحسن الجوار، لك الله عليَّ بذلك شهيد، وكفيل، ومراعٍ، ووكيل؛ والسلام عليك[1].

ثم أرسل الكتاب مع عبدالله بن جعفر، ويحيى بن سعيد بن العاص، ولكن الحسين رفض الرجوع، وذهب بولدي ابن جعفر، عونٍ ومحمدٍ مع أمهما زينب بنت علي إلى كربلاء، وقُتِلا معه.

ولمَّا بلغ عبدالله بن جعفر قَتْلَ ولديه مع الحسين؛ دخل عليه بعض مواليه يعزيه، وعنده ناسٌ يعزونه، فقال مولاه: هذا ما لقينا من الحسين. فَحَذَفَهُ ابن

(١) تاريخ الطبري ٥/٣٨٧ - ٣٨٨. الكامل ٣/٤٠٢.

جعفر بنعله، وقال: يابن اللخناء، أللحسين تقول هذا؟ والله لو شهِدْتُه لأحببتُ أن لا أفارقه حتى أُقتل معه، والله إنّه لما يُسخي بنفسي عنهما، ويُهَون عليَّ المصاب أنهما أصيبا مع أخي، وابن عمي مواسين له، صابرين معه، ثم قال: إن لم تكن واست الحسين يدي، فقد واساه ولداي[1].

وروي أن الحسن والحسين رضي الله عنهما كانا يَلُومَان عبدالله في كثرة إنفاقه وعطائه، ويخشيان عليه الفقر، وكان يقول لهما: لقد عَوَّدَني الله عادةً، وعودتُ خَلْقَهُ عادةً، وأخشى إن غيرتُ عادتي مع خلقه أن يُغَيِّرَ الله عادته معي، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ (الرعد: ١١).

وكان الحسين بن علي يقول: تَعَلَّمنا السخاء من ابن جعفرٍ[2].

---

(١) الكامل ٣/٤٠٢.

(٢) مختصر ابن عساكر ١٢/٧٩.

الفصل السادس
عبد الله بن جعفر مع معاوية وابنه يزيد

كان معاوية بن أبي سفيان من أقران عبدالله بن جعفر[1]، ولهما معاً في شبابهما قصص وأخبار، وكان معاوية رجلاً حكيماً، حليماً، يعرف للرجال قدرهم، ويتألف قلوبهم، وقد كان معاوية يصِلُ عبدالله بن جعفر ويُكرِمُه، وأراد أن يخطب ابنته أمَّ كلثوم لابنه يزيد ولكن خالها الحسين زوَّجها من ابن عَمِّها كما مرَّت القصة. وروي أن معاوية قال في عبدالله: «**هو رجل بني هاشم، وهو أهلٌ لكلِّ شرفٍ، لا و الله ما سابقه أحدٌ إلى شرفٍ إلا وسَبَقَهُ**»[2].

وكان عطاء عبدالله من معاوية ألف ألف درهم في العام، عن أبان بن تغلب؛ قال: ذُكِرَ أن عبدالله بن جعفر قدم على معاوية، وكانت له منه وفادةٌ في كل عام، يعطيه ألف ألف درهم، ويقضي له مئة حاجة[3].

وروى ابن عساكر أنَّ عبدالله بن جعفر قدِمَ على معاوية وكانت له منه وفادةٌ في كل سنة، يُعطِيه ألف ألف درهم، ويقضي له مئة حاجةٍ، فقال له عبدالله: يا أمير المؤمنين، اقض عني ديني؛ فإني إنما أخذتُهُ عليك[4]، وابسط أملي بإعطاء يومك، ودعني وغداً، فإنك غداً خيرٌ منك اليوم، كما أنك

---

(١) كان معاوية يكبر عبدالله ببضع عشرة سنة.
(٢) تهذيب التهذيب ٤/٢٥٧.
(٣) سير أعلام النبلاء ٣/٤٥٩.
(٤) يعني طمعاً في عطائك وجودك.

اليوم خير منك أمس، ثُمَّ قال:

يومـــــاك: يومٌ يفـــــيض نائلهُ

وخـــيـــرُ يُومَـــيْكَ مـــا بقـــيتَ غـــدا

ولا يمنعك من قضاء حقنا، وصلةِ أرحامنا حاجتُنَا إليك وغناك عنَّا، فإنه ليس كل حاجة تتم، ولا كل غنى يدوم، وقد عودتنا من نفسك عادة صارت لنا عليك فريضةً إن تقف بنا عندها رضينا بها، وإن زدتنا عليها حملنا زيادتها، ونحن وأنت كما قال الأعشى لقيس بن النَّمر:

عـــودتَ كندة عـــادةً فـــاصـــبـــر لهـــا

اغـــفـــر لجاهلـــهـــا وروِّ سِـجَـالَـهـــا

واعلم أنك لا تقضي لنا حاجة إلا قضينا لك مثلها، ولا تقبضْ عنَّا يدك فوالله إنه لتجيء منك الفلتة من الحرمان فكأنَّما جاءت من غيرك، يشكُ فيها الشاهد، ويُكذِّب بها الغائب، ويطلب لها أهل الرأي المخرج لك منها حتى يَبتغوا لك من العذر ما يُجَوِّز الحرمان، وذلك بحقك الغالب، وحظُّك الجالب[1].

(١) تُعَدُّ هذه الكلمات من أروع وأجمل خطب العرب وأبْلَغِهَا، فقد قدَّم عبدالله حُسنَ الظنِ بجود معاوية، وكثرة عطائه، ورغَّبه في ذلك، ثم جعل له العُذر إن لم يفعل، وأخبره بأن حقه أعظم وأجلُّ من أن يُظَن به غير الخير.

فقال له معاوية: حَسْبُك! فما يَتَّسعُ بيت مالي لمكافأتك، والله ما في قريشٍ رجلٌ أحب إليَّ أن يكون ابنَ هندٍ[1] منك، ولكني إذا ذكرتُ مكانك من عليٍ، ومكان عليٍ منك انقبضت عنك، ثم أذكر أني لا أقيس بك رجلاً من قريش إلا عَظُمتَ عنه، ولا أزِنك إلا رجحت به؛ فأعطف عليك. وإنَّ بك مني وسيلةً لا أُخَيِّب دالَّتها، وأثرة لا أستكثرُ عطيتها، وأمَّا ما عودتكم فهو لكم ما كنتم لي، وأمَّا أن تقضي من حقي ما أقضي من حقك فإني لا أكون على حالٍ إلا وفي يدك مني أكثر مما في يدي منك، وأمَّا البخل فكيف أبخل بمال إنَّما تغيَّبَ عني أربعة أشهر حتى يرجع إليَّ بيت مالي، وما أحبسه إلا لأعطيه، وما أجمعه لأمنعه، ولأنا بإعطائه أشد سروراً منكم بأخذه، وقد قدمتَ عليَّ وقد خلَّفتَ الحقوق في المال، ولك عودة، والدهر بيني وبينك مُشَتِّتٌ، فلا تضربن بيني وبينك بالإساءة. كم دَيْنُكَ يا بن جعفر؟

قال: ألف ألف درهم.

فقال معاوية: يا سعد اقضها عنه.

فغضبت قريشٌ حين أعطاه هذا المبلغ الكبير، وقالوا: نظنُّ معاوية هائباً لابن جعفر، فبلغ ذلك معاوية فقال:

---

(١) هند بنت عُتبة هي زوجة أبي سفيان، وأُمُّ معاوية، وكان معاوية يقول له: إني من شدة حبي لك أتمنى لو كنت أخي وأقرب الناس مني.

تقول قريشٌ حين خَفَّت حُلُومُها ... نظن ابن هندٍ هائباً لابن جعفرِ
فمن ثَمَّ يقضي ألفَ ألفِ ديونَه ... وحاجته مقضيةٌ لم تُؤخَّرِ
فقلتُ: دَعوني لا أباً لأبيكم ... فما منكمُ فيضٌ له غيرُ أعورِ
أليس فتى البطحاء من تُنكرونه ... وأوَّلُ من أثني بتقواه خِنصري
وكان أبوه جعفرٌ سادَ قومَهُ ... ولم يكُ في الحرب العوان بِجَيْدَرِ[1]
فما ألفٍ – فاسكتوا – لابن جعفر ... كثيرٌ ولا أمثالها لي بمنكرِ
ولا تحسُدوه وافعلوا كفعالِهِ ... ولن تُدْركوه كل ممشى مَحْضَرِ[2]

وروي أن معاوية بلغه أنَّ عبدالله بن جعفر أصابه جهدٌ وفاقةٌ، فكتب إليه ينصحه بالاقتصاد وينهاه عن السَرَفِ، وكان مما كتبه له:

لَمَالُ المرء يُصلِحُه فَيُغني ... مفاقِره أعفُّ من القُنوعِ[3]
يَسدُّ به نوائب تعتريه ... من الأيام كالنُّهُلِ الشروعِ[4]

فأجابه عبد الله:

---

(١) الجيدر: القصير.

(٢) أورد هذا الخبر ابن عساكر مع بعض الزيادات التي اختصرتها. راجع مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢ / ٧٧.

(٣) القُنُوع: ذلُ السؤال.

(٤) النهل الشروع: أي كالإبل العطاش التي لا يكفيها الكثير من الماء.

سلي الطارقَ المعتـرَّ يا أُمَّ خـالدٍ ... إذا مـا أتاني بين ناري ومَـجْـزِري
أأبسط وجـهي – إنَّه أول القِـرى – ... وأبذلُ معروفي لهـم دون مُنكري؟
وقد أشتري عرضي بمالي وما عسى ... أخوكِ إذا ما ضيَّعَ العرضَ يشتري؟
يؤدي إليَّ الليلُ إتيـان مـاجـد ... كـريم ومـالي سـارحٌ مـال مـقـتـرِ

فأعجبَ معاويةَ ما كتبه إليه، وبعث بأربعين ألف دينار عوناً له[1].

وقد كان معاوية يُقرِّبُ بعض الهاشميين ويُجلِسُهُم في مجالسه، ويُكثر من إكرامهم، وذلك ليكسب تأييدهم ضد علي، وأحياناً ما كان يحاول انتقاصه أو انتقاص قومه بشكل مباشرٍ، وغير مباشر، وقد يحاول أن يستغلَّ قُرْب عبدالله بن جعفر منه ويُلقي على مسامعه بعض هذه الأقاويل، ولكنَّ جواب عبدالله كان دائماً حاضراً ومفحماً لمعاوية وأعوانه. ومن ذلك ما روي من أنَّ عمرو بن العاص قال لعبدالله بن جعفر يوماً عند معاوية ليُصَغِّرَ منه: يا ابن جعفرٍ! فقال له عبدالله: لئن نسبتني إلى جعفر فلستُ بِدَعيٍّ ولا أبتر[2]، ثمَّ ولَّى وهو يقول:

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢/ ٩٠، ٩١.

(٢) وذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]، فقد روى المفسرون أن العاص بن وائل – والدَ عمرو بن العاص – لَمَّا مات القاسم بن محمد عليه السلام قال: دعوه فإنه رجلٌ أبترٌ لا عقب له، فإذا مات انقطع ذكره، فأنزل تعالى هذه السورة، وأخبر أنَّ هذا الكافر هو الأبتر لأنَّه مبتورٌ من رحمة الله، وإذا ذُكِرَ؛ فلا يُذكرُ إلا باللعن، في حين أن اسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم باقٍ إلى آخر الدهر مرفوعٌ.

تعرَّضْتَ قرنَ الشمسِ وقت ظهيرة لتستُرَ منها ضوءَها بظلامكَ
كفرتَ اختياراً ثُمَّ آمنتَ خيفةً وبُغْضُك إيَّانا شهيدٌ بذلكَ[1]

ومثلها ما رُوي من أن عبد الله بن جعفرٍ دخل على معاوية، وعنده يزيد ابنه، فجعل يزيد يُعَرِّض بعبد الله في كلامه، وينسبه إلى الإسراف في غير مرضاة الله، فقال عبد الله ليزيد: إني لأرفع نفسي عن جوابك، ولو صاحبُ السرير[2] يُكَلِّمني لأجبته، فقال معاوية: كأنكَ تظنُّ أنك أشرف منه؟ قال: إي والله، ومنك ومن أبيك وجدِّك! فقال معاوية: ما كنت أحسَبُ أن أحداً في عصر حرب بن أميَّة أشرف من حرب. فقال عبد الله: بلى والله أشرف من حربٍ من أكفَأَ عليه إناءَهُ، وأجاره بردائه[3]. قال:

---

(١) يريد أن يقول له: إنَّ نسبي وشرفي وذِكر آبائي مُضيءٌ كضوء الشمس، ولا يُنقِصُه تعريضُكَ هذا، وهل أنت إلا رجلٌ آمنت خوفاً من بطش النبي والمسلمين بك، وأبطنت غير ذلك، وكان بغضك لنا - آل البيت - دليلاً على ما تُبطن، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده لا يؤمنُ أحدهم حتى يحبكم بحبي». الطبراني في الصغير، مجمع الزوائد ٩ / ١٧٠.

(٢) يعني والد يزيد معاويةَ.

(٣) حرب بن أميَّة هو جدُّ معاوية، والقصة التي أشار إليها عبدالله هي أن حرب بن أميَّة كان إذا سافر ثم عرضت له عقبة لم يجترىء أحدٌ أن يربأها حتى يجوز حرب بن أمية، فكان في سفرٍ، فعرضت له ثنيَّة، فوقف الناس ليجوز، فجاء غلام من بني تميم، فقال: ومن حربٌ؟ ثم تقدَّمه فنظر إليه فتهدده، وقال: سَيُمَكِنُني الله منك إذا دخلت مكة، ثم إنَّ هذا الغلام عرضت له حاجة بمكة، فخشي أن يدخلها بدون جِوَار، فسأل عن أعزِّ أهل مكة، فقيلَ له عبد المطلب بن هاشم وأولاده، فأتى باب الزبير بن عبد المطلب، فقرع عليه بابه، فخرج إليه الزبير، فقال ما أنت؟ إن كنت مُسْتجيراً أجرناك، وإن كُنتَ طالب قِرى قريناك، فذكر له التميمي قصته، فقال له الزبير: قد أجرتك وأنا ابن عبد المطلب، فسِر أمامي فإنَّا إذا أجرنا رَجُلاً لم نَتَقَدَّمه، فمضى بين يديه =

صدقت يا أبا جعفرٍ، سل حاجتك، فقضى حوائجه وخرج[1].

وذكر ابن قتيبة وغيره أن معاوية لـمَّا أراد جعل ولاية العهد لولده يزيد من بعده قَدِمَ المدينة، فَتَلَقَّاه الناس، فلمَّا استقرَّ في منزله أرسلَ إلى عبد الله ابن عباس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وإلى عبد الله بن عمر، وإلى عبد الله بن الزبير، وأمر حاجبه أن لا يأذن لأحد من الناس حتى يخرج هؤلاء النفر، فلما جلسوا تكلم معاوية، فقال: الحمد لله الذي أمرنا بحمده، ووعدنا عليه ثوابه، نحمده كثيراً، كما أنعم علينا كثيراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله. أما بعد، فإني قد كبر سني ، ووهن عظمي وقرب أجلي، وأوشكت أن أدعى فأجيب، وقد رأيت أن أستخلف عليكم بعدي يزيداً، ورأيته لكم رضا، وأنتم عبادلة قريش وخيارها، وأبناء خيارها، ولم يمنعني أن أحضر حسناً وحسيناً إلا أنهما أولاد

= والزبير في إثره فلقيه حرب فقال: التميميُ وربِّ الكعبة، ثم شدَّ عليه، ثم اخترط سيفَه الزبيرُ، ونادى في إخوته، فمضى حرب هارباً يشتدُّ والزبير في إثره حتى صار إلى دار عبد المطلب، فلقيه عبد المطلب خارجاً، فقال: ما شأنك يا حرب؟ فقال: ابنك! قال: ادخل الدار، فدخل، فأكفأ عليه جفنةَ هاشم التي كان يهشم فيها الثريد، ولم يجرؤ بنو عبد المطلب أن يدخلوا دار أبيهم، فجلسوا على الباب، ثم خرج عبد المطلب إليهم، وسرَّه ما رأى من نجدتهم للأعرابي، ثم دخل إلى حربٍ وقال له: قُمْ فاخرج، فقال يا أبا الحارث، هربتُ من واحدٍ وأخرج إلى عشرة؟! فقال له: خُذ ردائي هذا فالبسه، فإنهم إذا رأوا ردائي عليك لم يقربوك، فلبس رداءه وخرج، فلما نظروا إلى الرداء عليه نكسوا رؤوسهم، ومضى حرب. فهذا تفسير قول عبدالله بن جعفر: إنَّ أشرف من حرب من أكفأ عليه إناءه، وأجاره بردائه.

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢/ ٧٨.

أبيهما عليّ، على حسن رأيي فيهما، وشديد محبتي لهما، فردوا على أمير المؤمنين خيراً رحمكم الله.

قال: فتكلم عبدالله بن عباس؛ فقال الحمد لله الذي ألهمنا أن نحمده، واستوجب علينا الشكر على آلائه، وحسن بلائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وصلى الله على محمد وآل محمد. أما بعد، فإنك قد تكلمت فأنصتنا، وقلت فسمعنا، وإن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه اختار محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لرسالته، واختاره لوحيه، وشرَّفه على خلقه، فأشرف الناس من تشرف به، وأولاهم بالأمر أخصهم به، وإنما على الأمة التسليم لنبيها، إذ اختاره الله لها، فإنه إنما اختار محمداً بعلمه، وهو العليم الخبير، وأستغفر الله لي ولكم.

قال: فقام عبدالله بن جعفر؛ فقال: الحمد لله أهل الحمد ومنتهاه، نحمده على إلهامنا حمده، ونرغب إليه في تأدية حقه، وأشهد أن لا إله إلا الله واحداً صمداً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وسلم: أما بعد، فإن هذه الخلافة إن أُخذ فيها بالقرآن، فأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، وإن أُخذ فيها بسنة الشيخين أبي بكر وعمر فأي الناس أفضل وأكمل وأحق بهذا الأمر من آل الرسول؟ وأيم الله لو ولوه بعد نبيهم لوضعوا الأمر موضعه، لحقه وصدقه، ولأطيع الرحمن، وعصي الشيطان، وما اختلف في الأمة سيفان، فاتق الله

يا معاوية، فإنك قد صرت راعياً، ونحن رعية، فانظر لرعيتك فإنك مسؤول عنها غداً، وأما ما ذكرت من ابنيّ عمي، وتركك أن تحضرهما، فوالله ما أصبت الحق، ولا يجوز لك ذلك إلا بهما، وإنك لتعلم أنهما معدن العلم والكرم، فقل أو دع. وأستغفر لي الله ولكم.

قال: فتكلم عبد الله بن الزبير، فقال: الحمد لله الذي عرفنا دينه، وأكرمنا برسوله، أحمده على ما أبلى وأولى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. أما بعد: فإن هذه الخلافة لقريش خاصة، تتناولها بمآثرها السنية، وأفعالها المرضية، مع شرف الآباء، وكرم الأبناء، فاتق الله يا معاوية وأنصف من نفسك، فإن هذا عبد الله بن عباس ابن عمّ رسول الله، وهذا عبد الله بن جعفر ذو الجناحين ابن عمّ رسول الله، وأنا عبد الله بن الزبير ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلي خلَّف حسناً وحسيناً ، وأنت تعلم من هما، وما هما، فاتق الله يا معاوية، وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك، ثم سكت.

فتكلم عبد الله بن عمر، فقال: الحمد لله الذي أكرمنا بدينه، وشرفنا بنبيه صلى الله عليه وسلم أما بعد: فإن هذه الخلافة ليست بهرقلية، ولا قيصرية، ولا كسروية يتوارثها الأبناء عن الآباء. ولو كان كذلك لكنتُ القائم بها بعد أبي، فوالله ما أدخلني مع الستة. إلا على أنَّ الخلافة ليست شرطاً مشروطاً، وإنما هي في قريش خاصة لمن كان لها أهلاً ممن ارتضاه

المسلمون لأنفسهم، ممن اتقى وأرضى.

ثم تكلَّم معاوية كلاماً في الردِّ عليهم. وأعرض عن جعل البيعة ليزيد.

ولـمَّا توفي الحسن بن علي رضي الله عنهما، لم يلبث معاوية إلا قليلاً، ثم بايع ليزيد ابنه بولاية العهد، وبعث بذلك إلى الأمصار، فأبتْ قريش ذلك، وكتب معاوية إلى رؤوس قريش يَحُثُّهم على البيعة ويهددهم ويرغبهم. وكتب إلى عبدالله بن جعفر يقول: أمَّا بعد فقد عرفتَ أثرتي إياك على من سواك، وحسنَ رأي فيكَ وفي أهل بيتك، وقد أتاني عنك ما أكره، فإن بايعت تُشكَرُ، وإن تَأْبَ تُجْبَر والسلام.

فكان أن كتبَ له عبدالله كتاباً قال فيه: أمَّا بعدُ، فقد جاءني كتابكَ، وفهمتُ ما ذكرتَ فيه من أثرتك إياي على من سواي، فإن تفعل فبِظَنِّكَ أصبت، وإن تأبَ فَبِنَفْسِكَ قَصَرْت، وأمَّا ما ذكرتَ من جبرك إيايَ على بيعة يزيد، فلعمري لئن أجبرتني عليها لقد أجبرناك وأباك على الإسلام حتى أدخلناك وإياه كارهين غير طائعين، والسلام. ثمَ أجبر معاوية أهل مكة والمدينة على بيعة يزيد[1].

ولـمَّا تولى يزيد بن معاوية الخلافة بعد وفاة أبيه سار سيرة أبيه في إكرام عبدالله بن جعفر وصِلته، وزاد في ذلك. روى المؤرخون أن عبدالله وفد على يزيد، فقال له يزيد: كم كان أمير المؤمنين يُعطيك؟ فقال: كان رحمه الله

(١) الإمامة والسياسة ١/١٩٤، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٢.

يعطيني ألف ألف درهم. قال يزيد: قد أمرنا لك بمثل ذلك، وزدناك لترحمك عليه ألف ألف، فقال: بأبي أنت وأمي، فجزاك الله عني خيراً، فقال يزيد: ولهذه ألف ألف. فقال: أما إني لا أقولها لأحدٍ بعدك. قال: ولهذه ألف ألف. فقال: والله ما يمنعني من الإطناب في وصفك إلا الإشفاق عليك من جودك. فقال يزيد: ولهذه ألف ألف. وحمل المال معه، فقيل ليزيد: يا أمير المؤمنين فرَّقت مال المسلمين على رجل واحدٍ؟! قال: إنَّما فرَّقتُه على أهل المدينة أجمعين، ثم وكَّلَ به من يعلم خبره من حيث لا ينظر، فصحبه، فلمَّا دخل المدينة فرَّق فيها تلك الأموال حتى احتاج إلى قرضٍ بعد شهرٍ(١).

فلمَّا كان في السنة الثانية قَدِم عبدالله مع مولاه نافع إلى يزيد، فأمرَ لعبدالله بن جعفر بألف ألف، وقضى عنه ألف ألف، وقدِمت عليه هدايا من مصر كثيرة، فأمرَ بها لعبدالله بن جعفر، وكانت عنده مئة ناقة فقال نافع لعبدالله: لو سألته منها شيئاً نشرب منه في طريقنا، ففعل، فأمر بصرفها كلها إليه(٢).

وكان عبد الله ينصحُ ليزيد، ويشفع عنده في بعض الناس، وكتبَ إليه

---

(١) المستجاد من فعلات الأجواد ص ٢٢٠، ٢٢١. وقريب منها في العقد الفريد ١/٣١٢، والإصابة في معرفة الصحابة ٤/٤٣.

(٢) العقد الفريد ١/٣١٢.

مرةً في رجالٍ يَسْتَمِيْحهُ لهم: احكم لهم بآمالهم إلى مُنتَهى آجالهم، فَحَكَمَ لهم بتسعمئة ألف درهم[1].

ولـمَّا أظهر أهلُ المدينة عصيانهم على يزيد، وعلى واليه عليها عثمان بن محمدٍ، أرسل عثمانُ إلى يزيد يُعْلِمُه بعصيانهم. فاستدعى يزيدُ عبدَالله بن جعفرٍ، ودار بينهم هذا الحوار الذي يرويه عبدالله، فيقول:

جاء كتاب عثمان بن محمد بعد هدأة من الليل، وقد كنت انصرفت من عند يزيد، فلم ألبث أن جاءني رسوله، فدخلت عليه، والشمعة بين يديه، وهو مغضب قد حسر عن ذراعيه، والكتاب بين يديه، فقال دونك يا أبا جعفر هذا الكتاب، فاقرأة، فرأيت كتاباً قبيحاً، فيه تعريض بأهل المدينة وتحريش. ثم قال يزيد: والله لأطأنَّهم وطأة آتي منها على أنفسهم. قال ابن جعفر: فقلت له: إن الله لم يزل يعرف أباك في الرفق خيراً، فإن رأيت أن ترفق بهم وتتجاوز عنهم فعلت، فإنما هم أهلك وعشيرتك، وإنما تقتل بهم نفسك إذا قتلتهم. قال: أقتل وأشفي نفسي، فلم أزل ألحّ عليه فيهم، وأرفقه عليهم، وكان لي سامعاً ومطيعاً، فقال لي: إن ابن الزبير حيث علمت من مكة، وهو زعم أنه قد نصب الحرب، فأنا أبعث إليه الجيوش، وآمر صاحب أوّل جيش أبعثه أن يتخذ المدينة طريقاً، وأن لا يقاتل، فإن أقروا

(١) العقد الفريد ٤/١٩٢.

بالطاعة ونزعوا عن غيهم وضلالهم، فلهم عليّ عهد الله وميثاقه، أن لهم عطاءين في كل عام، ما لا أفعله بأحد من الناس طول حياتي، عطاء في الشتاء، وعطاء في الصيف، ولهم عليّ عهد أن أجعل الحنطة عندهم كسعر الحنطة عندنا، والحنطة عندهم سبعة آصع بدرهم، والعطاء الذي يذكرون أنه احتبس عنهم في زمان معاوية فهو عليّ أن أخرجه لهم وافراً كاملاً، فإن أنابوا وقبلوا ذلك جاوز إلى ابن الزبير، وإن أبوا قاتلهم، ثم إن ظفر بها أنهبها ثلاثاً، هذا عهدي إلى صاحب جيشي لمكانك ولطلبتك فيهم، ولما زعمت أنهم قومي وعشيرتي. قال عبدالله بن جعفر: فرأيت هذا لهم فرجاً، فرجعت إلى منزلي فكتبت من ليلتي كتاباً إلى أهل المدينة، أعلمهم فيه قول يزيد، وأحضهم على الطاعة والتسليم، والرضا والقبول لما بذل لهم، وأنهاهم أن يتعرّضوا لجيوشه، وقلت لرسولي: اجهد السير، فدخلها في عشر، فوالله ما أرادوا ذلك ولا قبلوه، وقالوا: والله لا يدخلها عنوة أبداً.

قال: وكتب يزيد إلى أهل المدينة كتاباً، وأمر عثمان بن محمد يقرؤه عليهم، فقدم الكتاب المدينة، وعثمان خائف، فقرأه عليهم، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإني قد نفستكم حتى أخلفتكم، ورفعتكم حتى أخرقتكم، ورفعتكم على رأسي ثم وضعتكم، وأيم الله لا يأتيكم مني أولى من عقوبتي، فلا أفلح من ندم.

ثمَّ إن أهل المدينة لم يقبلوا نُصحَ عبدالله بن جعفر وكان بينهم وبين يزيد ما كان[1].

وروي أن عبدالله بن جعفر دخل على معاوية، ورائحة الطيب تفوح منه، فقال له معاوية، ما طيبك يا عبدالله؟

قال: مسكٌ وعنبرٌ جمع بينهما بانٌ. فقال معاوية: غاليةٌ! أي: ذات ثمن غالٍ[2].

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/٢٢٨، ٢٢٩ – والطبقات الكبرى ٥/١٤٥.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٧/٢٤٠. وكان عبدالله أول من وضع الغالية.

obeikandl.com

الفصل السابع
عبد الله بن جعفر مع عبدالله بن عمر رضي الله عنهم

روى المحدِّثون والمؤرخون أنَّ عبدالله بن عمر كان يحترمُ عبدالله بن جعفر ويُحِبُّهُ حباً شديداً. ورُويت في ذلك أخبارٌ منها ما رواه البخاري عن الشَّعبي أن ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا سلم على ابن جعفر قال: «السلام عليك يا بن ذي الجناحين»[1].

وكانوا يقولون لابن عمر: نراك تكثرُ من زيارة ابن جعفر، فقال لو رأيتم أبا هذا لأحببتموه، لقد وجدنا في جسده حين استُشهِدَ سبعين بين ضربةٍ بسيف وطعنة برمح[2].

وعن نافعٍ مولى ابن عمر قال: دخَلتُ مع عبدالله بن عمر على ابن جعفر، فأعطاه بي اثني عشرَ ألف درهم، فأبى أن يبيعني، فكان ابن جعفر كلما رآني يُكَلِمُه في ذلك، فصار ابن عمر لا يُظهِرُني أمامه. ثم أعتقني ابن عمر أعتقه الله[3].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٧٠٩).

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢/ ٧٥.

(٣) المعارف لابن قتيبة ص ٤٦٠، وقد كان حرص ابن جعفر على نافع مولى عبدالله بن عمر لعلمه وورعه وتقواه.

obeikandl.com

الفصل الثامن
عبد الله بن جعفر مع عبد الملك بن مروان

كان عبد الملك بن مروان من فقهاء الخلفاء وعلمائهم ومن حكمائهم تولَّى بعد أبيه مروان وثبَّت الخلافةَ في أولاده، ولم يحدث في زمنه نزاعاتٌ بين بني أمية وبني هاشم، فأرخى ظلالاً من الودِّ والسلام بينهما.

وكانت علاقة عبد الله مع عبد الملك في بدايةِ حُكم عبد الملك على أحسن حالٍ، يَصلُه ويُكرِمُه، ويعرِفُ حَقَّه، وتزوج عبد الملك من أمِّ أبيها بنت عبد الله بن جعفر، ثُمَّ ساءت العلاقة بينهما، وطلَّق عبد الملك أمَّ أبيها، ومات عبد الله بن جعفر في خلافة عبد الملك بعد أن أمَسْكَ عبد الملك يده عنه، وقطع عنه العطاء، وضاق عليه الأمرُ واشتدَّ.

ورويَ أن سبب طلاق عبد الملك لأمِّ أبيها بنت عبد الله، أنَّ عبد الملك كان أبخر [1]، فعضَّ تفاحةً ثمَّ أعطاها إلى أمِّ أبيها، فَدَعَتْ بسكين، فقال ما تصنعين؟ قالت: أُذْهِبُ عنها الأذى! فَطَلَّقها[2].

وكان لعبد الله في بداية أمره كلمةٌ مسموعة عند عبد الملك، وكان يشفع عنده فيقبلُ شفاعته، ومن ذلك ما روي من أنَّ عبيد الله بن قيس الرُقيّات كان مُلازِماً مُصْعَبَ بن الزبير، يُقَاتِلُ معه، وكان كثيرَ المدح له،

---

(١) الأبخر: هو الذي له رائحة فم مُنْتِنَة.

(٢) المعارف لابن قتيبة ص ٢٠٧.

فلمَّا قُتِلَ مصعب طَلَبَ عبدُ الملك عبيدَالله بن قيس ليقتُلَهُ، فهرب فلَحقَ بعبدالله بن جعفرٍ، فقال له عبدالله: إذا دخلتَ معي على عبد الملك فكُل أكلاً يستقبحُهُ عبد الملك - وذلك كي يلفتَ انتباه عبد الملك إليه، وكان عبدالملك لا يعرف شكل عبيدالله - فلما دخلا على عبد الملك فعل عُبَيدُالله ما أمره به عبدالله، فقال عبد الملك: من هذا يا بن جعفر؟ قال: هذا أكذبُ النَّاسِ إن قُتِلَ. قال: ومن هو؟ قال هو القائلُ:

ما نقَمُوا من بني أميَّة إلاَّ ... أنهم يحلُمُون إن غضبوا (١)
وأنَّهم مَعْدِنُ (٢) الملوكِ فلا ... تصلحُ إلا عليهمُ العَربُ

ثم طلب عبدالله منه أن يسمع من عُبيدِ الله، فأبى، فلم يزل يُلِحُ عليه حتى أجابه، فأنشده عُبيدُ الله:

إنَّ الفَنيقَ(٣) الذي أبوه أبو ... العاصِ عليه الوقار والحُجُبُ
خليفةُ الله في رَعِيَّته ... جَفّت بذلك الأقلام والكتبُ
يعتدِلُ التاجُ فوق مفرقه ... على جبينٍ كأنَّهُ الذهبُ

(١) وقول عبد الله: هو أكذب الناس إن قُتِلَ، لأنه يقول عن بني أمية أنهم حُلماء يسبق عفوهم عقوبتهم، فإن قتله عبد الملك لم يكن حليماً، وكان عبيدالله كاذباً في مدح بني أميَّة. ثم تأمَّل هذا الأسلوب الحكيم من عبد الله بن جعفر في استدراره العفو من عبد الملك على عبيد الله.

(٢) مَعْدِنُ الشيء: أصلهُ ومَنْبَعُهُ.

(٣) الفَنيق: هو الفحْلُ المكرَّمُ الذي لا يُركبُ ولا يُهانُ.

فقال له عبد الملك: أتقول لمصعب:

إِنَّما مصعبٌ شهابٌ من الله قد تجلَّت عن وجهه الظلماءُ

وتقول لي:

يُعْتدِلُ التاج فوقَ مفرقه على جبينٍ كأنَّه الذهبُ!

ثمَّ قال له عبد الملك: قد عفونَا عَنهُ، ولا يأخُذُ عطاءً من عطاءِ بيت المال، فكان عبدالله إذا جاء عَطَاؤُه أعطاه منه.

ثم إنَّ عبيدالله بن قيس الرقيات مدح عبدالله بن جعفر، وكان مِمَّا قاله فيه:

أتيناك نُثْني بالذي أنت أهلُه عليكَ كما أثنى على الأرض جارُها
تَقَدَّت بي الشهباءُ نحو ابن جعفر سواءٌ عليها ليلُهَا ونهارُها
تزورُ فتىً قد يعلمُ اللهُ أنَّه تَجُودُ له كفٌّ قليلٌ غِرارُها
فو الله لولا أن تزور ابن جعفر لكان قليلاً في دمشقَ قرارُها
ذكرتُكَ إذ فاض الفراتُ بأرضنا وجلَّل على الرَّقتين بحارها
فإن متَّ لم يوصل صديقٌ ولم تقم طريقٌ من المعروفِ أنت منارُها

وبَلَغَت هذه الأبيات عبد الملك، فقال لعبيدالله بن قيس: أَمَا تتقي الله حين تقولُ في ابن جعفر:

أتَتْ رجـــلاً قـــد يعلمُ الله أنَّه

تجـــودُ له كفٌّ قليلٌ غِـــرَارُها؟!

هلاَّ قلتَ: قـــد يعلم الناسُ؟!

فقال عبيدالله: قد والله عَلِمَه الله، وعَلِمْتَهُ أنتَ، وعَلِمَهُ الناس[1].

وروى بُدَيح قال: وَفَدَ عبد الله بن جَعْفَرٍ على عبد الملك بن مروان، فخرجنا معه حتى دخلنا دمشقَ لنحُط رحالنا إذ جاء الوليد بن عبد الملك على بغلةٍ ومعهُ ناس، فقُلنَا جاء إلى ابن جعفر ليُحَييه ويدعوه إلى منزله. فاستقبله ابن جعفر بالترحيب، فقال له الوليد: لكن أنت لا مرحباً بل ولا أهلاً! فقال: مهلاً يا ابن أخي، فلستُ أهلاً لهذه المقالة منك. قال: بلى، ولشرٍ منها، قال: وفيمَ ذلك؟ قال إنَّك عَمَدْت إلى عقيلة نساء العرب، وسيدة بني عبد مناف، فزوَّجْتَها عبدَ ثقيف[2]. وقال عبدالله: وهل في هذا

---

(١) صُغتُ هذا الخبر من متفرِّقات ذكرها كلٌّ من: أبي العباس المبرد في الكامل ١/٣٩٧، ٣٨٩، وابن قتيبة في الشعر والشعراء ص ٤٥٠، ٤٥١. وابن حجر في تهذيب الكمال ١٤/٢٧٠.

(٢) وكان الحَجَّاج الثقفي قد أكرَه عبدالله على تزويجه ابنته أمَّ كلثوم بعد وفاة زوجها القاسم بن محمد بن جعفر ابن أبي طالب، فاستأجَلَهُ أن يُؤخِّرَ نقلها إليه سنة، وكان زواجها بإذن عبد الملك، وقد أمهرَها الحجاج تسعين ألفَ دينار، وقيل ألفي ألفٍ في السرِّ وخمسمئةٍ في العلانية.

وروى ابن عساكر أنه قال لها إذا دخل عليك الحجاج فقولي: «لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين»، وقال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا حَزَبَهُ أمر دعا بهذا. فبقيت أمُّ كلثومٍ عند الحجاج ثمانية أشهرٍ لم يقربها فيها.

ثم إن أمرَ هذا الزواج بلغَ خالد بن يزيد بن معاوية، فكلَّم فيه عبد الملك وأقنعَهُ بأنَّ هذا الزواج شرٌّ=

عَتب عليَّ يا بن أخي؟! قال: وما أكثر من هذا؟! قال: لقد والله زوَّجَهُ سيفُ أبيكَ! والله ما فديتُ بها إلا خيط رقبتي، ووالله إنَّ أحق الناس ألاَّ يلومني في هذا لأنت وأبوك، إنْ كان من قبلك من الولاة ليصلون رحمي، ويعرفون حقي، وإنك وأباك منعتُمَاني ما عندكم حتى والله لو أنَّ عبداً مُجدَّعاً حبشياً أعطاني بها ما أعطاني عبدُ ثقيفٍ لزوجَّتُهَا. وإنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد زوَّج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب من المقداد بن الأسود، وخالدة بنت أبي لهبٍ من عثمان بن أبي العاص، ففيه قدوة وأسوة.

قال: فما راجَعَهُ الوليد كلمةً، ثم عطف عنانه وانصرف.

ثمَّ استأذن ابن جعفر على عبد الملك، فلما دخل عليه استقبله عبدالملك بالترحيب، ثمَّ أخذ بيده فأجلسه معه على سريره، ثم سأله فألطَفَ المسألةَ، حتى سأَلَهُ عن مطعمه ومشربه، فلما انقضت مسألته قال له يحيى بن الحكم: ما فَعَلَتْ خَبِيثَة[1]؟ قال: وما خبيثة؟ قال: أرضُك التي جئت منها. قال: سبحان الله! رسول الله يُسميها طيبة وأنت تسميها خبيثة؟ لقد

= للحجاج سيف بني أميَّة الذي يخشى عليه إن تزوَّج من بني هاشم أن يميل إليهم، ويُجلسَهم مكان بني أميَّة. فأمرَ عبد الملك الحجَّاج أن يطلِّق ابنة عبد الله بن جعفر، وألاَّ يُرَاجِعه، ففعل الحجاج ذلك، وبقي يُكرِمها ويكرم أباها حتى توفي عبدالله

راجع تفاصيل ذلك في حياة الصحابة ٣/٣٧٣. والعقد الفريد ١/٣١٣ - ٦/١٣١. والبداية والنهاية ٩/١٠٥، ومسند الإمام أحمد ١/٢٠٦.

(١) ويقصد بها المدنية المنوَّرة، وكانت قد ثارتْ على عبد الملك.

اختَلَفْتُمَا في الدنيا، وستختلفان في الآخرة! فقال له يحيى: والله لأن أموت بالشام أحبُّ إليَّ من أن أموت بها ! فقال عبد الله: اخترت جوارَ قبور النصارى على جوارِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فلمَّا أفحَمَ عبد الله يحيى وأحرَجهُ أراد يحيى أن يوقِعَ بعبد الله عند عبد الملك فسأله: ما تقول في عليٍ وعثمان؟ قال: أقول ما قاله من هو خيرٌ مني في من هو شرٌ منهما: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨].

فلما خَرَجَ من عنده هيَّأ ابن جعفر هدايا، وألطافاً من كسوةٍ، وحريراً، وعبيداً، وجواري، بما يزيد عن مئة ألفٍ، فبعث بها إلى عبد الملك، فاستعظَمَهَا عبد الملك وجعل يقول كلَّمَا رأى شيئاً: عافى اللهُ أبا جعفر! ما رأيتُ كاليوم، وما نريد أن يتكلَّف لنا شيئاً من هذا، ثُمَ أذِنَ عبد الملك لأصحابه.

فقال له يحيى بن الحكم لمَّا رأى استعظامه لما جاءه به ابن جعفر: لقد جمع لك وَخْشَ[1] رقيق الحجاز، وحبس عنك فلانة – جارية كان يحبها عبدالله حُباً شديداً – فأمُرْه فليبعث بها إليك. فأرسل عبدالملك فارساً يطلُب الجارية من عبدالله – وكان عبدالله ثقيلَ السمع، فإذا سمع شيئاً لم يعجبه تصامَّ – فلمَّا قال الرسول له ما أمره به عبدالملك قال عبدالله لمولاه بُديح: ما يقول هذا الرَّجُل يا بُدَيح؟ فقال له: إنَّ أميرَ المؤمنين يُقْرِئُكَ السلام، ويقول

(١) الوخش: الرديء.

لك إنَّ الله نصر جيوش المسلمين في ثغر كذا، فقال: أقرِئ أمير المؤمنين السلام، وقل له: أعزَّ الله أمرك، وكبتَ عدوَّكَ. فقال الرسول: يا أبا جعفر، إني لست أقول هذا، وأعاد مقالته الأولى. فسألَ عبدالله مولاه عمَّا يقوله الرسول، فأخبره أن أمير المؤمنين يَشْكُرُه على هداياه. فأقْبَلَ عليَّ الرسولُ، فقال: أبرِسُلِ أمير المؤمنين تتهكَّم؛ وعن أمير المؤمنين تُجيبُ؟! أما والله ليُهراق دمُكَ، ثم انصرف.

فسألني عبدالله بن جعفر: ما تَرَى؟ قلتُ: أظنُّه صاحبُك بالأمس – يعني يحيى بن الحكم – وقد تَكَلَّفَ لأمير المؤمنين ما تكلَّفتَ، فإن مَنَعْتَها عنه جعلتها سبباً لمنعك، ولو طلب أميرُ المؤمنين إحدى بناتك ما كنتُ أرى أن تمنعها إياه. قال: ادعها لي. فلما أقبلتْ. رحَّب بها ثم أجلسها إلى جنبه، ثم قال: أما والله ما كنتُ أظن أن يفرق بيني وبينك إلا الموت. قالت: وما ذاك؟ قال: إنه حدث أمر، وليس والله كائناً فيه إلا ما أحببتِ، جاء الدهر فيه بما جاء.

قالت: وما هو؟ قال: إنَّ أمير المؤمنين بعث يطلبك. فإن تَهْوَيْ فذاك، وإلا والله لم يكن أبداً. قالت: ما شيء لك فيه هوى ولا أظن فيه فرجاً عنك إلا فديته بنفسي، وأرسلتْ عينها بالبكاء. فقال لها: أما إذا فعلت فلا تَرَينّ مكروهاً. فمسحَتْ عينيها، وأشار إليَّ فقال: ويحك يا بُديح استحثها قبل أن تتقدم إليّ من القوم بادرة. قال: ودعا بأربع وصائف ودعا من صاحب

نفقته بخمسمئة دينار، ودعا مولاة له كانت تلي طِيبَه، فَمَلأَتْ لها ربعة عظيمة طيباً، ثم قال: عجِّلها ويلك.

فخرجتُ أسوقها حتى انتهيت إلى الباب؛ وإذا الفارس قد بلّغ عني، فما تركني الحجَّاب أن تمس رجلاي الأرض حتى أُدخلت على عبد الملك وهو يتلظَّى، فقال لي أنت المجيب عن أمير المؤمنين المتهكِّم برسله؟ قلت: يا أمير المؤمنين، ايذن لي أتكلم. قال: وما تقول يا كذا وكذا؟ قلت: ايذن لي جعلني الله فداك أتكلم. قال: تكلم.

قلت: يا أمير المؤمنين، أنا أصغر شأناً، وأقل خطراً من أن يبلغ كلامي من أمير المؤمنين ما أرى، وهل أنا إلا عبدٌ من عبيد أمير المؤمنين، نعم، قد قلتُ ما بلغكَ، وقد يعلم أمير المؤمنين أنَّا إنما نعيش في كَنف هذا الشيخ، وأنّ الله لم يزل إليه مُحسناً، فجاءه من قِبلك شيء ما أتاه قطُ مثلُه، إنما طلبتَ نفسه التي بين جنبيه، فأجبتُ بما بلغك لأُسَهِّل الأمرَ عليه، ثم سألني فأخبرتهُ واستشارني فأشرتُ عليه، وها هي قد جئتُك بها. قال أدخلها ويلك! قال فأدخلتُها عليه وعنده مسلمة ابنُه – غلام ما رأيت مثلَه ولا أجمل منه حين اخضرَّ شاربه – فلما جلستْ وكلّمها أُعْجِبَ بكلامها، فقال: لله أبوكِ، أمسكك لنفسي أحبُّ إليك أم أَهبك لهذا الغلام، فإنه ابنُ أمير المؤمنين، قالت: يا أمير المؤمنين، لستُ لك بحقيقة، وعسى أن يكون هذا الغلام لي وجهاً. وأقبل عليها مَسلمة فقال: يا لَكاع، أعَلَى أمير المؤمنين تختارين؟

قالت: يا عدوّ نفسه إنما تلومني أن اخترتُك! لعمر الله لقد فال رأيُ من اختارتك. قال: فضيَّقَتْ والله مجلسَه.

ثم قال عبد الملك: خُذْها يا مَسْلمَةَ، قال: فأعطيتُهَا الكسوة والدنانير والجواري والطيب الذي وجَّهَهُ عبدالله معي. فقال عبد الملك: سامح الله ابن جعفر! أخشىَ ألا يكون لها عندنا نفقةٌ وطيبٌ وكسرة؟ قال: فبقيت عند مسلمة يسيراً ثم ماتت، ثم مات ابن جعفر، قال بُديح: فوالله الذي ذهب بنفسيهما، ما جلستُ مجلساً ولا وقفتُ موقفاً مع مسلمة أُحَدِّثُهُ، إلا قال لي: اطلب لي مثلها، فقلتُ له اطلب لي مثل ابن جعفر[1]!.

وعن بُدَيح قال: قدِم عبدالله بن جعفر على عبد الملك فأعطاه حاجتَه، وقضى دينه، وقال له: لأُجيزَنَّك جائزةً لو نُشِر لي مروان من قبره ما زِدْته عليها. فأمر له بمئة ألف دينار! وكان عبد الله قد أنفق في رحلته وهديته مئتي ألف[2]!

وهكذا بقي خصوم عبدالله يَكِيدون له عند عبد الملك ويُوغِرون صدره عليه حتى أمسك يده عنه، وضاقَ الأمر على عبدالله ثُمَّ توفي على هذه الحالِ في خلافة عبد الملك.

---

(١) العقد الفريد ١/٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٦/١٣٩.

(٢) العقد الفريد ١/٣١٦.

obeikandl.com

الفصل التاسع
في بعض أخبار جوده وكرمه ﷺ

الجود والكرم من شعب الإيمان، ومن الخصال التي يتميَّز بها المؤمن من غيره. وقد حضَّ القرآن الكريم على الإنفاق في كثيرٍ من آياته ومنها قوله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١].

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٥].

وردَت الأحاديثُ الكثيرة في الحَضِّ على الجود والإنفاق منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يجتمع الشُّحُّ والإيمان في قلب عبد أبداً**»(١). وقوله: «**ألا إنَّ السخاءَ شجرٌ في الجنة، أغصانُها مدلاَّةٌ في الأرض فمن تعلَّقَ بغُصْنٍ منها أدخله الله الجنةَّ. ألا وإنَّ السخاء من الإيمان والإيمان في الجنَّة**»(٢).

وقوله: «**تجاوزوا عن ذنب السَّخيِّ فإن الله آخذٌ بيده إذا عَثَرَ. السَّخيُّ قريبٌ من الناس قريبٌ من الجنَّة، ولجاهلٌ سَخيٌّ أحبُّ إلى الله من عالمٍ - أو عابدٍ - بخيل**»(٣).

---

(١) كنز العمال ٦/١٦٢٨، وعزاه للخطيب البغدادي في تاريخه عن أبي هريرة.

(٢) شُعَبُ الإيمان للبيهقي برقم (١٠٨٢٨). (٣) مجمع الزوائد ٦/٢٨٢. وعزاه للطبراني في الأوسط.

وقد عُرِفَ بنو هاشم بالسخاء منذ القديم واشتُهروا به حتى شهد لهم به خصومهم، فعن معاوية أنه قال: «**إن لم يكن الهاشمي جواداً، والأموي حليماً، والعوَّامي شجاعاً، والمخزوميُّ تيَّاها، لم يُشْبِهُوا آباءهم**». وقيل: أربعةٌ محالٌ أن يكونوا، ومنهم: **هاشميٌ شحيحٌ**[1].

يقول العلامة محمد كرد علي رحمه الله: لقد عرفنا مِمَّا رويَ لنا من الأخبار أن آل البيت – رضي الله عنهم – أجود من السحاب وأنهم كانوا إذا أعوزهم المال يتلطَّفون مع أصحاب الدولة القائمة لتغدقه عليهم، ثم هم يُفضِلون منه على من يحبون[2].

وكان هاشمٌ من أسخياء قريش، له جفانٌ كبارٌ يُطعِمُ بها قومه، وإِنَّمَا سُمِّي هاشماً لأنه كان أوَّلَ من هشم[3] الثريد وأطعم قومَهُ. وكانت إليه السقاية والرِّفادة، فكان إذا قدِمَ الحُجَّاج البيتَ الحرام أطعمهم هاشم وأكرمهم[4]، ثمَّ تولى السقاية والرفادة من بعده أخوه المطَّلِب، ثُمَّ ابنه عبد المطَّلِب بن هاشم، ثُمَّ وليها أبو طالب جدُّ عبدالله بن جعفر، ثم العباس ابن عبد المطلب، وأقرَّهُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليها.

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أجودَ النَّاس، وأسخاهُم وصَفَهُ

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص ١١٧.

(٢) من مقدمة تحقيقه للمستجاد من فعلات الأجواد ص ٤.

(٣) الهشمُ: فتُّ الخبز.

(٤) سيرة ابن هشام ١/١٤٣.

ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجود النَّاس بالخير»(١).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً قط فقال: لا»(٢).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الإسلام شيئاً إلاَّ أعطاه. قال: فجاءه رجلٌ فأعطاه غَنَماً بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قومِ، أسلموا فإنَّ محمداً يُعطِي عطاءً ما يخافُ الفقر»(٣).

ولقد كان أبو عبدالله، جعفر بن أبي طالب من الأجواد، وكان شديدَ العطف والإحسان إلى الفقراء. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كنتُ أُلصِقُ بطني بالحَصْبَاء من الجوع، وإنْ كنتُ لأستقرئُ الرجلَ الآية، وهي معي، كي ينقلبَ بي فَيُطْعِمَنِي، وكان أخيرَ الناس للمساكين جعفرُ بن أبي طالب، كان ينقلِبُ بنا فَيُطْعِمُنَا ما كان في بيته، حتى إنْ كان ليُخرِجُ إلينا العُكَّة التي ليس فيها شيء فَيَشُقُّها فَنَلْعَقُ ما فيها»(٤).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما احتذى النعَالَ ولا رَكِبَ المطايا بعد رسول

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦)، ومسلم برقم (٢٣٠٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١١٤٢)، ومسلم برقم (٢٣١١).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٣١٢).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٧٠٨).

الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من جعفر بن أبي طالب » يعني في الجود والكرم[1]، وكان جعفرٌ يُسمى أبا المساكين.

وهكذا فقد ورث عبدالله بن جعفر الجود والكرم كابراً عن كابرٍ فأبوه جعفرٌ، وجدُّه أبو طالب، ووالد جدِّه عبد المطلب، وجدُّ جدِّه هاشمٌ كُلُّهُم من أجود العرب. ونشأ عبدالله في رعاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فتعلَّمَ منه الجودَ والبَذلَ، فكان رضي الله عنه آيةً من آيات الجود والعطاء قلَّما يجود الدَّهر بمثله، وقد وصفهُ المؤرِّخون الذين رووا أخباره بأنه **قُطبُ السخاء**، وسبق معنا قول الحسين رضي الله عنه: « **عَلَّمَنا عبدالله بن جعفر السخاء** »[2].

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد: أمَّا أجواد أهل الإسلام فأحدَ عشرَ رجلاً في عصرٍ لم يكن قبلهم ولا بعدهم مثلهم:

فأجواد الحجاز ثلاثةٌ: عبيدالله بن عباس، وعبدالله بن جعفر، وسعيد بن العاص[3].

ولعبدالله بن جعفر في السخاء قصص وأخبار كثيرة سبق معنا بعضها،

---

(١) أخرجه الحاكم ٣/٢٠٩ وصححه ووافقه الذهبي – والترمذي برقم (٣٧٦٨).

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢/٧٩.

(٣) وأجواد البصرة خمسةٌ: عبد الله بن عامر بن كُرير، وعبيد الله بن أبي بكرة، ومسلم بن زياد، وعبيد الله بن معمر القرشي التميمي، وطلحة الطلحات وهو عبد الله بن خلف الخزاعي.

وأجواد أهل الكوفة ثلاثة: عتَّاب بن ورقاء، وأسماء بن خارجة الفزاري، وعكرمة بن ربعي الفياض. العقد الفريد ١/٢٣٨.

ونذكرُ فيما يأتي بعضاً منها، ونترُك الكثير منها لمن أراد الاستزادة منها في مصادرها.

روى المؤرخون أنَّ ابن جعفر أسلفَ الزبير بن العوام ألفَ ألف، فَلَمَّا تُوفي الزبير قال ابن الزبير لابن جعفر: إني وجدتُ في كتب الزبير أنَّ له عليك ألف ألفٍ. قال: هو صادقٌ، ثم لقيهُ بعدُ، فقال: يا أبا جعفر، وهمتُ، الدين لك عليه. قال: فهو له ولك، قال: لا أريد ذلك. قال أبو جعفر: فاختر إن شئتَ، فهو له، وإن كرهت ذلك، فانظر في الأمر ما شئتَ، فإن لم ترد ذلك فبعني من ماله ما شئتَ، فقال ابن الزبير: أبيعكَ، ثم أتاه فقال: أحبُ أن لا يحضرني وإيَّاك أحد، فقال أبو جعفر: يحضرنا الحسن والحسين ليشهدا لك، فقال ما أحبُّ أن يحضرنا أحدٌ، فمضى معه فأعطاه حِراباً وسِبَاخَاً لا عمارة له وقوَّمه عليه، حتى إذا فرغ، قال عبدالله لغلامه: ألقِ لي في هذا الموضع مصلى، فألقى له في أغلظ موضع من تلك المواضع مصلى، فصلى ركعتين، وسجد فأطال السجود يدعو، فلما قضى ما أراد من الدعاء، قال لغلامه احفر في موضع سجودي، فحفر فإذا عينٌ وماء. فقال له ابن الزبير: أَقِلني[1]، فقال: أما دعائي وإجابة الله إياي، فلا أقيلك، فصار ما أخذ منه أعمرَ مما في يدي ابن الزبير[2].

---

(١) أي اقبل رجوعي في بيعي.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢/ ٧٩ - سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٦١.

وقصد أعرابيٌّ مروان بن الحكم يسأله عطاءً، فقال: ما عندنا شيء، فعليكَ بعبدالله بن جعفر، فأتى الأعرابي عبدالله وهو مرتحلٌ على راحلته، فأنشأ يقول:

أبو جعفرٍ منْ أهل بيت نبوةٍ ... صلاتُهُمُ للمسلمين طهُورُ
أبا جعفرٍ ضَنَّ الأميرُ بمالهِ ... وأنت على مافي يديكَ أميرُ
أبا جعفرٍ يا بن الشهيد الذي له ... جناحان في أعلى الجِنَانِ يطيرُ
أبا جعفرٍ ما مثلك اليوم أرتجي ... فلا تَتْرُكَنِّني بالفلاة أدورُ
أبا جعفرٍ إنَّ الحجيج ترحَّلوا ... وليس لرحلي فاعلمنَّ بعيرُ

فقال له عبدالله: يا أعرابي عليكَ بالراحلة بما عليها، وإيَّاك أن تُخدَعُ عن السيف، فإني أخذتهُ بألف دينار[1].

وسبق معنا كيف أنَّ قريشاً لـمَّا قالت ليزيد أتعطي رجلاً واحداً أربعة آلاف ألف؟! قال لها: إنما أعطيتُها أهل المدينة أجمعين، فما يده فيها إلا عاريةً[2]، ثمَّ إنَّ عبدالله لـمَّا دخل المدينة وزَّع المال كلَّه بين أهلها، ولم يُدخِل بيته منه شيئاً، وفي ذلك يقول عبيدالله بين قيس الرّقيَّات:

وما كنتَ إلاَّ كالأغرِّ ابن جعفر ... رأى المالَ لا يبقى فأبقى له ذِكْرا[3]

(١) سير أعلام النبلاء ٣/٤٥٩.
(٢) العقد الفريد ١/٣١٢.
(٣) الإصابة ٤/٤٣.

ومن جوده أنَّ امرأة سألته العطاء، فأعطاها مالاً عظيماً، فقيل له إنها لا تعرِفُك، وكان يرضيها اليسير. فقال: إن كان يرضيها اليسير فإني لا أرضى إلا بالكثير، وإن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي(١).

ومدحَهُ نُصَيب، فأعطاه إبلاً وخيلاً وثياباً ودنانير ودراهم، فقيل له: تُعطي لهذا الأسود مثل هذا؟ قال: إن كان أسود فشعْرُه أبيض، وإن كان عبداً فشعرُهُ حُرٌّ، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال، وهل أعطيناه إلا ما يبلى ويفنى، وأعطانا مدحاً يُروى، وثناءً يبقى(٢).

ويُروى أنَّ شاعراً جاء إلى عبدالله بن جعفر فأنشده:

رأيتُ أبا جعفرٍ في المنام ... كساني من الخَزِّ دُرَّاعهْ
شكوت إلى صاحبي أمرَهَا ... فقالَ ستُوتى بها السَّاعهْ
سَيَكْسُوكَهَا الماجدُ الجعفريُّ ... ومَنْ كَفُّهُ الدَّهر نفَّاعهْ
ومن قال للجود لا تَعْدُني ... فقال له السمعُ والطاعهْ

فقال عبدالله لغلامه: أعطِه جُبَّتي الخزِّ، ثم قال له: ويحك كيف لم ترَ جُبَّتي الوشي؟ لقد اشتريتُهَا بثلاث مئة دينار منسوجةً بالذهب! فقال: أنام مرة أخرى فَلَعَلِّي أراها. فضحك عبدالله، وقال: ادفعوها إليه(٣).

---

(١) العقد الفريد ١/٢٤١.

(٢) العقد الفريد ١/٢٥٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣/٤٥٩.

وعن الأصمعي، أنَّ امرأة أتت بدجاجةٍ مسموطة، فقالت لابن جعفر: بأبي أنت، إن هذه الدجاجة كانت مثل بنتي، وكنت أطعمها وأُسَمِّنُهَا، فآليتُ[1] أن لا أدفنها إلاَّ في أكرم موضع أقدرُ عليه، ولا والله ما في الأرض أكرم من بطنكَ. فقال عبدالله: خذُوها منها، واحملوا إليها من الحنطة كذا، ومن التمرِ كذا، ومن الدراهم كذا، فعدَّد أشياء. فلمَّا رأت ذلك قالت: بأبي أنت، ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١، والأعراف: ٣١][2].

وقال ابن أبي الفخر سَمَّنتُ بَهْمَةً[3] لي ثُمَّ خرجتُ أبيعها، فمررتُ، بعبدالله بن جعفر، فقال يا صاحب البَهْمَةَ، أتبيعُ؟ قلت: لا والله، ولكن هي لك، ثم انصرفت وتركته، فأقمنا أيَّاماً، ثم إذا الحَمَّالُون على الباب، فإذا عشرون يحملون حنطةً، وعشرة يحملون زيتاً، وخمسة يحملون كسوةً، وواحداً يحمل مالاً[4].

وعن محمد بن سيرين أنَّ رجلاً جَلَبَ سُكَّراً إلى المدينة فكسد عليه. فقالوا له: ائتِ عبدالله بن جعفر، فأتاه فاشتراه منه كلَّه، وقال من شاء فليأخذ، فأقبل الناس يأخذون، فقال له الرجل: آخذ معهم؟ قال: نعم، خُذ[5]!

---

(١) آليتُ: أقسمتُ.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢ / ٨٣ – أعلام النبلاء ٣ / ٤٦١.

(٣) البَهْمَةُ: الصغيرة من البهائم.

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢ / ٨٣.

(٥) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢ / ٨٣، ٨٤ – سير أعلام النبلاء ٣ / ٤٦١. الإصابة ٤ / ٤٣.

وجاء أعرابي إلى عبدالله وهو محمومٌ، فأنشده:

كم لوعةٍ للندى وكم قلقٍ ... للجودِ والمكرماتِ من قَلَقِكْ
ألبسكَ اللهُ منه عافيةً ... في نومِكَ المعتري في أرقِكْ
أخرَجَ من جسمكَ السقام كما ... أخرج ذمَّ الفعالِ من عنقِكْ

فأمر له عبدالله بمئة ألف دينار(١).

وعن عُبيد الله بن أبي مُليكة، عن أبيه، عن جده، قال: دخل ابن أبي عمار وهو يومئذٍ فقيه أهل الحجاز على نَخَّاس ليشتري منه جاريةً، فعرض عليه جاريةً، فعَلقَ بها، ولم يَكُن معه مقدار ثمنها، فمشى إليه عطاء، وطاووس، ومجاهد يلومونه في ذلك، وبلغ خَبَرُهُ عبدالله بن جعفر فاشتراها بأربعين ألفاً، وزيَّنَهَا وحَلاَّها، ثم طلب ابن أبي عمار فقال له: ما بلغ حبُّكَ فلانة؟ فقال:

هي التي هام قلبي من تَذَكُّرِها ... والنفسُ مشغولةٌ أيضاً بذكراها

فقال: يا جارية، أخرجيها، فأخرجتها له ترفُلُ في الحُليِّ والحُلَلِ، وقال له: هي لك فخذها بارك الله لك فيها. فقال له: لقد تَفَضَّلتَ بشيء ما يَتَفَضَّلُ به إلا الله. فلمَّا ولَّى بها قال: يا غلام احمل معها مئة ألف درهم، فبكى ابن أبي عمار سروراً، ثمَّ قال: الله يعلم حيث يجعل رسالته، والله لئن وعَدَنَا الله

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢/ ٨٤.

نعيم الآخرة لقد عَجَّلتَ لنا نعيم الدنيا[1].

وقيل لمعاوية بن عبدالله بن جعفر: ما بلغَ من كرمِ أبيكَ؟ قال: كان ليس له مالٌ دون الناس، هو والناس في ماله شُركاء، من سألهُ أعطاهُ، ومن استمنحه شيئاً منحه، لا يرى أنَّهُ يحتاج فَيَدَّخَر. قال فيه الشَّمَّاخ بن ضرار:

إنكَ يا بن جعفر نِعْمَ الفتى ... ونِعْمَ مأوى طارِقٍ إذا أتى

ورُبَّ ضيفٍ طرقَ الحيَّ سُرَىً ... صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى

إنَّ الحديثَ جانبٌ من القِرى[2]

وبَعَثَ رجل من أهل المدينة بابنة له إلى عبدالله بن جعفر، فقال له: إنَّا نريد أن نخدرَهَا[3]، وقد أحببتُ أن تمسح يدك على ناصيتها، وتدعو لها بالبركة. قال: فأقعدها في حجره ومسح بيده على ناصيتها، ودعا لها بالبركة، ثُمَّ دعا مولاه فسارَّه بشيء، فذهب المولى ثم جاء فأتاه بشيء، فَصَرَّه عبدالله في خِمَارِ الجارية، ثم دفعها إلى الرسول. فنظروا فإذا لؤلؤة، فأُخرِجَتْ إلى السوق لتُبَاعَ فَعُرِفَتْ، وقيل: لؤلؤةُ ابن جعفر! فبيعت بثلاثين ألف درهم[4].

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢/ ٨٥ - سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٦١.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢/ ٨٩ - الإصابة ٤/ ٤٣.

(٣) كناية عن الحجاب.

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢/ ٨٩

ومرَّ عبدالله مع نفرٍ من أصحابه بمنزل رجلٍ قد أقام عُرساً، فَسَمِعَ قولهم:

قُل للكرِام ببـــابنا يَلِجُـــوا

فقال عبدالله لأصحابه: ادخلوا فقد أُذِنَ لكم، فنزل ودخلوا، فلما رآه صاحب المنزلِ تلقاه وأجلسهُ على الفرشِ، فقال عبدالله له: كم أنفقت على عُرسِكَ؟ قال: مئتي دينار، قال فكم مهرُ امرأتكَ؟ قال: كذا وكذا، فأمر له بمئتي دينار، ومهر امرأته، وبمئة دينار معونة، واعتذر إليه وانصرف(١).

ويروى أن عبدالله بن جعفر خرج إلى ضيعةٍ له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام أسود يقوم عليها فأُتي بقوته ثلاثة أقراص، ودخل كلبٌ فَدَنَا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله، ورمى إليه بالثاني فأكله، ثم بالثالث فأكله وعبدالله ينظر إليه، فقال: يا غلام، كم قوتك في اليوم؟ قال: ما رأيتَ. قال فَلِمَ آثرتَ هذا الكلب؟ قال: ما نحنُ بأرض كلابٍ، ما إخاله إلا جاء من مسافةٍ بعيدةٍ جائعاً، فكرهتُ ردَّه، قال: فما أنت صانعٌ اليوم؟ قال: أطوي يومي هذا. فقال عبدالله: يلومونني في السخاء وهذا أسخى مني! فاشترى الحائط والغلام، وأعتق الغلام ووهبه له(٢).

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢/ ٨٩.

(٢) المستجاد من فعلات الأجواد ص ١٨.

وأخبر الهيثم بن عدي قال: تمارى ثلاثة في أجود الناس، فقال أحدهم أسخى الناس عبدالله بن جعفر، وقال آخر بل عَرَابة الأوسي، وقال أخر بل هو قيس بن سعد بن عبادة. فتلاحوا فأفرطوا في المراء، وكَثُرَ ضجيجهم وهم بفناء الكعبة. فقال لهم رجلٌ: قد أكثرتم الملاحاة فلا عليكم أن يمضيَ كل واحد منكم إلى صاحبه يسأله حتى ننظر ما يعطيه فنحكم بينكم. فقام صاحب عبدالله بن جعفر إليه فصادفه وقد وضع رجله في غرز راحلته يريد ضيعةً له، فقال له: يابن عمِّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال عبدالله: قُل ما تشاء. قال: ابن سبيل منقطعٌ به، فأخرج رجله من الغرز وقال: ضع رجلك واستو على الناقة، وخذ ما في الحقيبة، ولا تُخْدَع عن السيف فإنه من سيوف علي بن أبي طالب. قال: فجاء بالناقة والحقيبة فيها مطارف خَز، وأربعة ألاف دينار، وأجلُّ ما فيها السيف.

ومضى صاحب قيس بن سعد بن عبادة، فصادفه نائماً، فقالت الجارية هو نائمٌ فما حاجتُكَ؟ قال: ابن سبيلٍ منقطع قالت: حاجَتُك أهون من إيقاظه، هذا كيسٌ فيه سبعمئة دينار ما في دار قيس اليوم غيره، خُذْهُ وامضِ إلى معاطن الإبل إلى غلامٍ لنا فيها بعلامتِنَا فخذ راحلة من رواحله، وما يُصْلِحُها وعبداً وامض لشأنك. فقيل: إن قيساً لما انتبه من رقدته أخبرته الجاريةُ بما صنعت فأعتقها.

ومضى صاحب عَرَابة الأوسي إليه فألفاه قد خرج من منزله يريد الصلاة،

وهو يمشي مُتَّكئاً على عبدين، وقد كُفَّ بصره، فقال: يا عَرَابة، قال: قُل ما تشاء، فقال: انقطع بي السبيل، قال فَخَلَّى العبدين، وصفق بيده اليمنى على اليسرى، ثم قال: أوَّاه، أوَّاه، والله ما أمسى، وأصبح عرابة وقد تركت له الحقوق مالاً، ولكن خذهما - يعني العبدين - فقال: ما كنت بالذي أقصُّ جناحيك، قال: إن لم تأخذهما، فهما حرَّان! ثمَّ أقبل يلمس الحائط بيده راجعاً إلى منزله. فحكموا له بأنهَ أجود النَّاس لأنهَّ أعطى جهده(١).

وأعطى عبدالله أعرابياً عطاءً فقال الأعرابي له: «لا ابتلاك الله ببلاء يعجزُ عنه صبرك، ولا أنعم عليك نعمةً يعجزُ عنها شكرُكَ(٢).

وكان عبدالله يقول: ليس الجواد الذي يعطي بعد المسألة، لأنَّ الذي يبذلُ السائلُ من وجهه وكلامه أفضل وأكرمُ مما يبذله من عطائه، وإنَّما الجواد الذي يبدأ بالمعروف(٣).

وكتب رجلٌ إلى عبدالله بن جعفر رقعةً يطلبُ منه عطاءً، ثم جعلها في ثَنِي وسادة كان يَتَّكِئ عليها، فقلب عبدالله الوسادة فبصر بالرقعة فقرأها، ثم ردَّها إلى موضعها ومعها كيسٌ فيه خمسة آلاف دينار، فجاء الرَّجل، فقال له: خُذ رقعتك والذي فيها، فأخذ الكيس، وخرج، ثم أنشأ يقول:

---

(١) المستجاد من فعلات الأجواد ص ١٢٦.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢/ ٩٠.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢/ ٩٠.

زاد مـــعـــروفَك عندي عِظَمـــاً أنَّهُ عندكَ مـــســـتـــورٌ حـــقـــيـــرُ
تـتـنـاســـــاهُ كـــــأنْ لـم تـأتِـهِ وهو عند الله مشهورٌ كبيرُ[1]

وهكذا يتبينَّ لك مما سبق أنَّ مَنْ وَصَفَ عبد الله بن جعفر بأنه **قُطبُ السخاءِ**[2]، وبحر الجود[3] لم يبالغ في ذلك ولم يُجَاوز الحقيقة، وإنَّك إن تَأمَّلتَ ما ذكرنا من أخبارٍ وقصصٍ في جوده وسخائه تجد أن الجود والسخاء كان فطرةً وطبيعة في نفس عبد الله بل كان إنفاق المال في قضاء حوائج النَّاس، وإدخال السرور عليهم، أحبَ إليه من ادِّخاره أو التصرف به في شؤونه الخاصة، ولقد سَخَّر كل ثرواته وما يملكه في خدمة الناس، وقضاء حوائجهم، حتى أصبح نموذجاً من نماذج السخاء قلَّ أن يتكرر أو يوجدَ مثلهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هذا وقد أعرضنا عن كثيرٍ مما ذكره المصنفون من قصصه في الجود والسخاء خشية التطويل، وفيما ذكرنا من ذلك الكفاية إن شاء الله تعالى.

عِلْمُ عبد الله بن جعفر وروايته:

صاحب عبدُالله بن جعفر النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنواتٍ عدَّة، وروى عنه(٢٢) حديثاً، أخرجها الإمام أحمد في مسندِه، وأخرَجَ له البخاري ومسلم[4] وأصحاب السنن.

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢ / ٨٠. (٢) الجرح والتعديل ٣ /٢٠٧.
(٣) تهذيب الكمال ١٤ /٣٦٧.
(٤) عدد الأحاديث التي أخرجها البخاري (٢)، وعدد أحاديث مسلم (٥)، واتفق البخاري ومسلم على حديثين منهما.

وروى عن أبيه جعفر، وعامَّةُ عِلمِهِ وروايته عن أمِّه أسماء وعمِّه علي رضي الله عنهم.

وهو بشكل عام مُقِلٌ في الرواية، وما أخِذَ عنه من المسائل الفقهية قليلٌ.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل العاشر
وفاة عبد الله بن جعفر
وبعض ما قيل فيه وروي عنه

رويت عن عبدالله بن جعفر بعض الأخبار غير التي ذكرناها، ونحن نختم حديثنا عنه وعن أخباره بذكر هذه الأخبار وبعض صفاته وأخلاقه.

روي أن عبدالله رُئي يماكسُ في درهم فقيلَ له: تماكسُ في درهم، وأنت تجود من المال بكذا وكذا؟ فقال: ذلك مالي جُدتُ به وهذا عقلي بخلتُ به[1].

وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن عبدالله بن جعفر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنَّ الله مع الدائن حتى يقضي دينه، ما لم يكن فيما يكره الله**».

قال: فكان عبدالله بن جعفر يقول لخازنه: اذهب فَخُذْ لي بدينٍ فإني أكره أن أبيت ليلةً إلا والله معي[2].

وافتقد عبدالله بن جعفر صديقاً له في مجلسه ثم جاءه، فقال له: أين كانت غيبتك؟ فقال: خرجتُ إلى غرض من أغراض المدينة مع صديق لي.

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢ / ٩٠ – أي إنني أكره أن أُغبن في بيع فأشتري شيئاً بأكثر من ثمنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٢٤٠٩).

فقال عبدالله: إذا لم تجد من صحبة الرجال بُدًّا، فعليك بصحبة من إن صحبته زانك، وإن خَفَضْتَ له صانك، وإن احتجت إليه مانك، وإن رأى منك خلةً سدها، أو حسنة عدَّها، وإن وعدك لم يُحرِضكَ، وإن كثرت عليه لم يرفضك، وإن سألته أعطاك، وإن أمسكت عنه ابتداك[1].

وفاة عبدالله بن جعفرٍ رضي الله عنهما:

توفي عبدالله بن جعفر عام الجُحَاف – سيلٌ ببطن مكة – في خلافة عبد الملك بن مروان، وكُنَّا قد ذكرنا أن العلاقة فيما بين عبدالله وعبد الملك ساءت آخر الأمرِ بسبب طلاق عبد الملك لابنة عبدالله، وكيدِ الحُسادِ لعبدالله عند عبد الملك.

روى الطبري في تاريخ الأمم والملوك قال: لَمَّا أمسك عبد الملك بن مروان يده عن عبدالله بن جعفر احتاجَ وضاقَ إضاقةً شديدةً، وكان يصلي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشاء الآخرةِ، ويبقى فيه إلى أن يخرُجَ كل الناس، فدنا منه ذات ليلة رجل، فشكى إليه الحاجة، فقال عبدالله: أنا في إضاقة شديدةٍ، غير أن لك عليَّ وعداً إذا جاءني شيءٌ من غلَّتي أن أعطيك[2]. قال: أنا مُرهَقٌ لا أجدُ سبيلاً إلى الصبر. قال: أَيُقْنِعُكَ أخذُ ثوبيَ هذين؟! قال: نعم! فأعطاه ثوبيه ثم استقبل القبلة، فقال: اللهمَ

(١) الكامل في اللغة والأدب ٢/٦٩٧.

(٢) وكان لعبد الله ضياعٌ تردُ عليه غلاَّتها.

إنه لم يكن لي إلا ما أرى فاقبضني إليك، فَحُمَّ ولم يخرج من منزله حتى خرجت جَنَازَتُهُ[1].

وكان الوالي على المدينة يومئذٍ أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما فحضر أبانُ تغسيلَهُ وتكفينَهُ، وصلى عليه، وحمل النعش حتى وضعه بالبقيع، ودموعُهُ تسيل وهو يقول: كنتَ والله خيراً لا شرَّ فيك، كنتُ والله شريفاً وأصيلاً برًّا، كنتَ والله، كنتَ والله، والناس يزدحمون على سريره[2].

واختلف المؤرخون في تاريخ وفاة عبدالله على أقوالٍ أَصَحُّها، والله أعلم، أنه توفي سنة ثمانين وكان عمره ثمانين سنة، وهو آخر من رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بني هاشم وفاةً.

وكُتِبَ على قبره بيتان من أبلغ ما قيل، وهما:

مقيمٌ إلى أن يبعثَ اللهُ خَلقَهُ ... لقاؤُكَ لا يُرجَى وأنتَ قريبُ
تزيدُ بِلًى في كل يوم وليلةٍ ... وتُنسى كما تبلى وأنتَ حبيبُ

وهكذا عاش عبدالله بن جعفر رضي الله عنه حياةً طيبةً، وعاصرَ أجيالاً مختلفةً، وقد كانت الفترة التي عاشها فترةَ تقلبات وأحداث سياسية خطيرة عصفت

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٦/٢١٩.
(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢/٩١.

بالدولة الإسلامية، وكَثُرتْ فيها الفتن، وتغيَّرَتْ فيها أخلاق الكثير من الناس. ولكن عبدالله بقيَ على حاله، ولعل السبب في ذلك بُعدُ عبدالله عن الأحداث والخلافات السياسية وعدم طمعهِ في شيءٍ من ذلك. فما رويَ عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أمور اشتراكه في الحروب والخلافات إلاَّ اشتراكه مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حروبه، وبعد أن جرَّب عبد الله هذا، ورأى آثار هذه الحروب من تفكك المسلمين واختلافهم. اعتزل ذلك وصار ينصحُ للمسلمين وولاة أمورهم باعتزال ذلك، فقد نصح للحسين بعدم الخروج على يزيد، وكذلك نصح لأهل المدينة، وحاول أن يَشفَعَ لهم عند يزيد، وكان يَفِدُ على معاوية، ويزيد، وعبد الملك ويشفع لديهم وينصحُ ويسعى لقضاء حوائج المسلمين لديهم. وكان هؤلاء يعرفون قدره، ويشكرون له ذلك ويَصِلونه ويُكثِرون من برِّه، وقد سَخَّرَ عبدالله كل هذه الهبات والصِلات إضافةً إلى ما كان يأتيه من غلاَّت ضياعه وأملاكه في سبيل خدمة المسلمين، وإكرامهم، وإغاثتهم وقضاء حوائجهم.

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ محترماً في مجتمعه، يحبُّه الناس لحُسنِ أخلاقه وجوده، وكان يعرف كيف يوازنُ بين لهوه المباح و بين عبادته وعِلمهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أجمع المعاصرون والمؤرخون له على عظيم قدره وجَلاَلَتِه، وأثنوا عليه، ومن ذلك ما قاله فيه صلى الله عليه وآله وسلم:

«**جَعْفَر أشْبَهُ خَلْقِي وخُلُقِي، وأمَّا أنت يا عبدالله فأشبَهُ خلقِ الله بأبيك**»[1].

ومرَّ معنا كلام ابن عمر فيه وحبُّهُ له، وثناء عليٍ والحسين رضي الله عنهما عليه، وكان معاوية يقول فيه: **عبدالله رجلُ بني هاشم، وهو أهلٌ لكل شرف، لا والله ما سابقه أحدٌ إلى شرفٍ إلاَّ وسبَقَهُ**[2].

وقال فيه الحافظ المزي: **كان بحرَ الجود**[3].

وقال بن حبان البستي: **كان قُطبَ السخاء**[4].

وقال الحافظ ابن عبد البر: **لم يكن في الإسلام أسخى منه**[5].

وقال الحافظ شمس الدين الذهبي: **كان كبير الشأن، كريماً، جواداً، يصلح للإمامة**[6].

رحم الله أباجعفر، عبد الله بن جعفر، ورحم أباه جعفراً، وأمَّة أسماء، وأزواجه، وأولاده.

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢/٧٤.

(٢) تهذيب التهذيب ٢٥٧٦٤.

(٣) تهذيب الكمال ١٤/٣٦٧.

(٤) الجرح والتعديل ٣/٢٠٧.

(٥) الاستيعاب ٣/٨٨١.

(٦) سير أعلام النبلاء ٣/٤٥٦.

obeikandl.com

الفصل الحادي عشر
بعض من أخبار أزواجه وأولاده

بعد أن أنهينا ما يتعلقُ بأخبار عبدالله بن جعفر رضي الله عنه، لا بد لنا إتماماً للفائدة من ذكرِ بعض ما ورد من أخبار أزواجه وأولاده رضي الله عنه.

فقد روى المؤرخون أن علياً رضي الله عنه زوَّج عبدالله من ابنته زينب بنت علي، فلبثت عنده ثم فارَقها فزوَّجه من أمٍّ كلثوم بنت علي وبقيت عنده حتى ماتت، كما تزوجَّ عبدالله من ليلى بنت مسعود بن خالد النهشلي زوجة علي بن أبي طالب، وذلك بعد وفاة علي. وتزوَّج من جمانة بنت المسيَّب الفزارية، والخوصاء بنت حفصة من بني تيم الله[1] والنابغة بنت خِداش من بني عبس، وآمنة بنت عبدالله بن كعب من خثعم[2].

١- زينب بنت علي:

هي بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وشقيقة الحسن والحسين.

ولدت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخمس سنوات. تزوَّجت من ابن عمها عبدالله بن جعفر، ومنها أولاده: محمد، وعلي، وعباس، وأمُّ كلثوم، وعون الأكبر.

---

(١) المعارف، ابن قتيبة ص ٢٠٧.

(٢) نسب قريش، الزبيري ص ٨٣.

حدَّثتْ عن فاطمة، وأسماء بنت عميس رضي الله عنهما . وحدَّث عنها محمد بن عمر، وعطاء، وفاطمة بنت الحسين.

سارت مع جيش الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى كربلاء مع ابنيها عون ومحمد لقتال عبيدالله بن زياد، وفُجِعَت بقتلهما مع الحسين وآل علي، وقدمت على يزيد وكان لها موقف مؤثرٌ معه كان سببَ نجاة علي بن الحسين رضي الله عنهما.

ثم عادت إلى المدينة فعلا البكاء والنواح، وجعلت زينب تُكثِرُ من ذمّ بني أمية، وتأليب الناس عليهم، فأرسل يزيدُ إلى أمير المدينة وأخرجها إلى مصر، فاستقبلها الناس استقبالاً حافلاً، وأقامت في دار أمير مصر مسلمة بن خالد الأنصاري. وتوفيت في مصر عام ٦٥هـ[1].

٢- أمُّ كلثوم بنت علي:

هي بنتُ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من زوجه فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهي شقيقة الحسن والحسين.

ولدت في حدود سنة ستٍّ من الهجرة، ورأت النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ولم تروِ عنه.

خطبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت صغيرة، فقيل له ما حاجتُك إليها؟ قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) أعلام النساء، كحالة. ومئة أوائل من النساء ص ٢٨٦.

يقول: «**كُلُّ سببٍ ونسبٍ منقطعٌ يوم القيامة إلاَّ سببي ونسبي**»(١).

قال ابن عبد البر: قال عمر لعلي رضي الله عنهما: زوجني أمَّ كلثوم فإني أرصد من كرامتها ما لا يَرصُدُ أحدٌ، قال: فقال عليٌّ: فأنا أبعثُهَا إليكَ، فإن رضيتَهَا فقد زوَّجتُكَهَا - يَعْتَلُّ بصغَرِها - قال: فبعثَهَا إليه ببُرد، وقال لها قولي له: هذا البُرْدُ الذي قلتُ لك، فقالت له ذلك. فقال عمر: قولي له: قد رضيتُ، رضيَ الله عنك، ووضع يده على ساقها فكشَفَهَا، فقالت: أتَفْعَلُ هذا؟! لولا أنك أمير المؤمنين لكسرتُ أنفكَ.

ثُم مضتْ إلى أبيها، فأخبرته وقالت: بَعَثتَني إلى شيخ سوء! فقال علي: يا بُنَيَّةُ إنه زوجُكِ(٢).

وأصدَقَهَا عمرُ أربعين ألف درهم.

ونقل الزهري أنها وَلَدَتْ له زيداً(٣)، وقيل رقية أيضاً(٤).

---

(١) أخرجه الحاكم ٣/١٤٢. والطبراني في الأوسط والكبير، مجمع الزوائد ٩/١٧٣ وقال: رجاله رجال الصحيح، غير الحسن بن سهل وهو ثقة.

(٢) الاستيعاب ٤/٤٩٠.

(٣) وكان ابنها زيدٌ سيداً من أسياد قريش. وفد على معاوية، وكان من أجمل الناس، فأسمعه أحد أصحاب معاوية كلمة ساءته، فنزل إليه زيدٌ وصرعه، وقال لمعاوية: أيقول لي هذا وأنا ابن الخليفتين! ثم خرج من عنده وقد تشعَّثَ رأسه وعمامته واعتذر إليه معاوية، وأمر له بمئة ألف. ومات شاباً في خلافة معاوية. وذكروا في سبب وفاته أنه خرج للإصلاح في فتنة جرت بين بني عديٍّ، فأصابه حجرٌ فمات. سير أعلام النبلاء ٣/٥٠٢.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي ٤/١٣٨.

فلما توفي عمر زوَّجها علي من ابن عمها عون بن جعفر، فلمّا مات زوَّجها من أخيه محمد بن جعفر، فمات، فتزوَّجها عبدالله بن جعفر، فماتتْ عنده. ولم تُنجِب من أحدٍ منهم.

توفيت في أوائل أيام معاوية، وصلى عليها ابن عمر، وسعيد بن العاص والي المدينة(١).

أمَّا أولاده فَهُمْ(٢):

محمد الأكبر أو جعفر، وعلي، وعون الأكبر، وعباس، وزينب، وأمّ كلثوم، وأمهم زينب بنت علي رضي الله عنهما.

ومحمد، وعبدالله الأصغر، ومحمد الأصغر، وأبو بكر. وأمهم الحوصاء بنت حفصة من بني تيم الله.

وصالح، وموسى، وهارون، ويحيى، وأم أبيها، وأمّ محمد، وأمهم ليلى بنت مسعود بن خالد النهشلي.

وصالح الأصغر، وأسماء، ولبابة من آمنة بنت عبدالله من بني خثعم.

وجعفر من النابغة بنت خِداش.

ومعاوية، وإسحاق، وإسماعيل، والقاسم، لأمهاتٍ أخرى.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/٥٠٢، وتاريخ الإسلام ٤/١٣٨.

(٢) المعارف لابن قتيبة ص ٢٠٧ – والبداية والنهاية ٥/٢٢٣ – ٢٣٤. العقد الفريد ١/٣١٣ – ١٣١.

والحسن، وعون الأصغر. من جمانة بنت المسيب الفزارية.

وقد ذكر المؤرخون أنَّ معاوية خطب أمَّ كلثوم ليزيد ابنه فزوَّجها خالها الحسين من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب وولدت له بنتاً فتزوَّجها حمزة بن عبدالله بن الزبير. ثم تزوجها الحجاج ولم يقربها، ثُمَّ تزوَّجها أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما.

وأما أمُّ أبيها فتزوجَّها عبد الملك بن مروان، ثم طلقها[1]، فتزوَّجها علي ابن عبدالله بن عباس، فماتت عنده.

وأما زينب بنت عبدالله بن جعفر فتزوَّجها خالد بن يزيد بن معاوية، وقدِمَ بها دمشق، وقال فيها:

جاءت بهادُهم البِغال وشهبها ... مقنعةً في جوف قرٍّ مُخَدَّرِ
مقابلةٌ بين النبي محمدٍ ... وبين عليٍ والحواري جعفرِ
منافيةٌ جاءت بخالص ودِّها ... لعبدٍ مَنَافِي، أَغَرَّ مشهرِ[2]

وذكَرْنَا أنَّ ولديه عوناً الأكبر، ومحمداً قُتِلا مع خالهما الحسين بن علي رضي الله عنهم في كربلاء.

وقُتِلَ من أولاده محمد الأصغر، وعون الأكبر، وعبيد الله في كربلاء مع

(١) راجع تفاصيل ذلك في الفصل السابع من هذا الكتاب.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، تحقيق سكينة الشهابي، تراجم النساء/١١٧.

الحسين رضي الله عنه أيضاً[1].

وعون الأصغر وأبو بكر قُتلا يوم الحرَّة في المدينة[2].

أمَّا علي بن عبد الله بن جعفر:

فكان جواداً، يحمل أهل أبيات من قريش، مدحه ماحق بن عبدالله بن مخرمة فقال:

أبا حسنٍ أني رأيتك واصلاً ... لهلكى قريشٍ حين غُيِّرَ حالها
سعيتَ لهم سعي الكريم ابن جعفر ... أبيك وهل من غاية لا تنالها
فما أصبحت في ابني لؤيٍ فقيرة ... مدقعة إلا وأنت ثمالها[3]

ومعاوية بن عبد الله بن جعفر:

وفد على يزيد بن معاوية، وطالت حياته حتى وفد على يزيد بن عبد الملك.

كان فاضلاً، نبيلاً. لمَّا مات أبوه دعاه وأوصاه، فوفَّى عن أبيه ديونه، وكان أفضل إخوته[4].

---

(١) مقاتل الطالبيين ٩٢.

(٢) مقاتل الطالبيين ١٢٣.

(٣) التبيين في أنساب القرشيين ١١٩.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي ٥/ ٢٦٠.

وممن ذُكِرَ من أحفاده:

ربيحة بنت محمد بن عبدالله بن جعفر، تزَوَّجها بكار بن عبد الملك بن مروان[١].

وقُتِلَ يزيد وصالح ولدا معاوية بن عبدالله مع محمد النفس الزكية في خروجه أول دولة بني العباس[٢].

أما الحسن بن معاوية فقد خرج هو وأخواه مع محمد النفس الزكية، واستعمله محمد على مكة، ثم أخَذَهُ أبو جعفر فضربه بالسوط وحبسه، ولـمَّا مات أبو جعفر أطلَقَهُ المهدي[٣].

وخرج مع محمد النفس الزكية أيضاً القاسم بن معاوية بن عبدالله، واستعمله محمد على اليمن[٤].

والقاسم بن إسحاق بن عبدالله بن جعفر. وجعفر بن إسحاق بن علي بن عبدالله بن جعفر، وإبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر، كان مُحدِّثاً، صدوقاً، فاضلاً، روى عن عمه معاوية بن عبدالله بن جعفر[٥].

---

(١) نقط العروس في تواريخ الخلفاء لابن حزم ص ١١١.

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٢٦٩.

(٣) مقاتل الطالبيين ص ٣٠٠.

(٤) مقاتل الطالبيين ص ٣٠١.

(٥) تقريب التهذيب ١/٦٥.

عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر:

لعلَّ عبدالله بن معاوية هو أبرز أحفاد عبدالله، وأكثر من يستحق أن نفرِدَه بالحديث عنه ونقل بعض أخباره.

كان عبدالله بن معاوية فارساً، شجاعاً، وشاعراً مجيداً، أمُّه أسماء بنت عون بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.

قال عنه أبو الفرج الأصفهاني: كان جواداً، فارساً، شاعراً[1].

وقال الذهبي: روى عن أبيه، وروى عنه أخوه صالحٌ، وجويرة بن أسماء، وكان جواداً ممدَّحاً، شاعراً من رجال العلم، وأبناء الدنيا. وكان فصيحاً، مفوَّهاً، شجاعاً، جريئاً[2].

خرج على الأمويين سنة ١٢٧هـ طلباً لثأرِ زيد بن علي بن الحسين. وذلك لـمَّا بايع الناس إبراهيم بن الوليد بعد أخيه يزيد بن الوليد، وامتنع مروان بن محمد عن البيعة، وخرج يطلب الخلافة.

وكان أميرَ الكوفة عبدالله بن عمر بن عبد العزيز، وكان لا يعدل بين الناس في عطاياهم، فبايعَ أنصار عبدِالله بن معاوية عبدَ الله، فدخل الكوفة واستولى على قصر الأمير – وكان الأمير في الحيرة – وأقام أياماً يبايع الناس،

(١) مقاتل الطالبيين ١٦٢.

(٢) تاريخ الإسلام ٥/٩٧.

ثم خرج إلى الأمير في الحيرة، وقاتَلَهُ قتالاً شديداً، ثم تراجع إلى الكوفة. ومنها إلى المدائن وهناك اجتمع إليه الناس مرةً أخرى، فخرج بهم وغَلَبَ على حلوان والجبال وهمدان وأصفهان والري.

وفي سنة ١٢٩ تغلب على فارس وما حولها، وأقام بأصفهان ثمَّ تحوَّل إلى اصطخر، ووفدَ إليه وجوه قريش كأبي جعفر المنصور، والسفاح، وعبدالله، وعيسى ولدَي علي بن عبدالله بن عباس، وسليمان بن هشام بن عبد الملك، وعمر بن سهيل بن عبد العزيز وبايعوه.

وجبى الأموال، وضرب النقود باسمه، وعيَّن أبا جعفر المنصور على إيذج، وأخاه يزيد بن معاوية على شيزار، وأخاه علياً على كرمان، وأخاه صالحاً على قُمْ.

ولم يزل كذلك حتى تَوَجَّهَ لقتاله عامر بن ضبارة ومعن بن زائدة، فلم يثبت لهما، وفرَّ قاصداً خراسان طمعاً بنصرة أبي مسلم الخراساني الذي كان يدعو للرضى من آل البيت – وذلك في بداية دعوة العباسيين السريَّة – فلمَّا وصل إلى هراة وكان عليها أبو النصر مالك بن الهيثم الخزاعي، فحبسه ثمَّ قتَلَهُ بأمر أبي مسلم. وكان ذلك سنة ١٣١.

كان شديداً، قاسي القلب، نسبَ إليه المؤرخون من الأقوال والعقائد ما لا يصحُّ عنه بوجهٍ ولا يُعقل، وقد قاتل معه بعضٌ من فضلاء التابعين

والعلماء والصالحين. وقاتلَ معه الزيدية[1]، والكيسانية[2].

ثمَّ خرج إخوته الحسن وصالح ويزيد أولاد معاوية بن عبدالله بن جعفر مع محمد النفس الزكية بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي لـمَّا خرج على العباسيين.

روى المؤرخون، والأدباء له مجموعة من الأبيات بلغت مئةً وسبعينَ بيتاً بعضها يُنسَبُ لغيره، وأكثرها في الحكمة.

منها نختار هذه المجموعة:

وعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ ولكنَّ عين السخطِ تُبدي المساويا[3]

وقوله:

قد يُرزَق المرء لا من فضلِ حيلتِه ويُصرَفُ الرزقُ عن ذي الحيلة الداهي
أرى نفسي تتوق إلى أمورٍ يَقْصُرُ دونَ مبلَغِهِنِّ مالي
فنفسي لا تُطَاوِعُني ببخل ومالي لا يُبَلِّغني فعالي[4]

---

(١) الزيدية: أتباع الإمام زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم.

(٢) الكيسانية: أتباع محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ومن بعده ولده أبي هاشم، وقالوا: إن أبا هاشم أوصى إلى عبدالله بن معاوية.

(٣) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص ٣٢٦.

(٤) شعر عبدالله بن معاوية ص ٢١.

وحُكيَ أنه خرجَ مرَّةً متصيداً، فقال نصفَ النهارتحت شجرةٍ فَعَرَضَ له شعر، فكتب على لوح الشجرة:

خَبِّرينا - خُصِصْتِ يا دَوحُ بالعتْبِ ... صدقاً، والصِّدقُ فيه شفاء
هل يموت المحبُّ من ألَمِ الحبِّ ... وهل يَنْفَعُ المُحبَّ اللقاءُ؟

ثُمَّ ركبَ مرةً أخرى فمرَّ بها بعد ذلك فوجدَ خَطًّا تحت كتابته فيه:

إنَّ جهلاً سؤالُك الدوحَ عمَّا ... ليس يوماً به عليك خفاءُ
ليس للعاشقينَ من ألمِ الحُبِّ ... سوى لذةِ اللقاء دواءُ[1]

ومن أشعاره أيضاً قوله:

أُصَافي خليلي ما استقام بودِّه ... وأمْنَحُهُ ودِّي إذا يَتَجَنَّبُ
ولست ببادي صاحبي بقطيعةٍ ... ولست بمفشٍ سِرَّةُ حين يغضَبُ
عليك بإخوان الثقات فإنهم ... قليلٌ، فَصِلهُم دونَ من كنت تصحبُ
وما الخِدْنُ إلاَّ من صَفَا لكَ ودُّه ... ومن هو ذو نصحٍ وأنت مُغَيَّبُ[2]

ومنها قوله:

حُكمُ الليالي تفريقٌ لِمَا جَمَعَتْ ... وجَمْعُ ما فَرَّقت مُذْ كانتِ الحجج
فهل رأيتَ نعيماً لا زوال له ... ولا أخا كربةٍ إلا له فَرَجُ[3]

---

(١) شعر عبدالله بن معاوية ص ٢٧.
(٢) العقد الفريد ٢ / ٣١٠، والصداقة والصديق ٤٦٢.
(٣) حماسة البحتري ص ٢٢٣.

وقوله:

ولا أقـول: نعم يومـاً، فَـأُتْبِـعُـهـا مَنْعَـــاً، ولو ذهبتْ بالمال والولدِ
ولا اؤتمنتُ على سِـرٍ فـبـحتُ به ولا مددتُ إلى غير الجميل يدي[1]

وقوله:

لـسـنـا وإن كـــــرُمَت أوائـلُـنَـا يومـــاً على الأحـــسـابِ نتَّكِلُ
نبني كـــمـــا كـــانت أوائلنا تَبْنِي ونفـعلُ مـثلمـا فـعلوا[2]

والعقب من أولاد عبدالله بن جعفر من أولاده: معاوية، وعلي، وإسحاق، وإسماعيل، وما زالت ذريتُه منتشرة في بلاد المسلمين عامة، وبلاد الشام خاصة.

(١) عيون الأخبار ١ / ٣٤٠ – شعر عبدالله بن معاوية ص ٤٣.

(٢) الكامل ١ / ١٦٣ – العقد الفريد ٢ / ٢٩٠.

وتجدرُ الإشارة هنا إلى أن الأستاذ جمعة عبد الحميد الراضي قد جمع أكثر هذه الأشعار، وأخرجها في كتاب مستقلٍ.

obeikandl.com

الخاتمة

وبعد، فهذا علم من أعلام المسلمين، ورجل من الرجال الذين قلَّمَا يجود الزمان بمثلهم شرفاً، وعلماً، وأدباً، وخُلُقاً.

وهذه صفحات منيرة، ومشرقة من حياته حاولت من خلالها إظهار صورة مشرِّفة لهذه الشخصية العظيمة، وإلقاء الأضواء على جوانب مختلفة من حياته، ودوره في الحياة السياسية والاجتماعية في عصره، وعلاقته بأشهر معاصريه من العلماء والأمراء.

أرجو أن أكون وفِقتُ في ذلك، وأن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه تعالى، وأن يتقبَّله مني بقبول حسن، إنه تعالى سميع مجيب، والحمد لله ربِّ العالمين.

obeikandl.com

obeikandl.com

المصادر والمراجع

١ – إحياء علوم الدين. الإمام الغزالي.
٢ – الأذكار. الإمام النووي.
٣ – الاستيعاب في معرفة الأصحاب. ابن عبد البر القرطبي.
٤ – أسد الغابة في معرفة الصحابة. ابن الأثير.
٥ – أعلام النساء. عمر رضا كحالة.
٦ – الإمامة والسياسة. ابن قتيبة.
٧ – البداية والنهاية. ابن كثير.
٨ – تاريخ الإسلام. الحافظ الذهبي.
٩– تاريخ مدينة دمشق – تراجم النساء. تحقيق سكينة الشهابي.
١٠– تهذيب التهذيب. الحافظ ابن حجر.
١١– تهذيب الكمال. الحافظ المزي.
١٢– الجامع الصغير. السيوطي.
١٣– الجرح والتعديل. ابن حبان البستي.
١٤– حلية الأولياء. أبو نعيم الأصفهاني.
١٥– حماسة البحتري.
١٦– سنن ابن ماجه.
١٧– سنن الترمذي.
١٨– السنن الكبرى. الإمام البيهقي.

obeikandl.com

١٩- سير أعلام النبلاء. الحافظ شمس الدين الذهبي.
٢٠- السيرة النبوية. ابن هشام.
٢١- شعب الإيمان. الإمام البيهقي.
٢٢- شعر عبدالله بن معاوية. جمعه: عبد الحميد الراضي.
٢٣- صحيح البخاري.
٢٤- صحيح مسلم.
٢٥- الصداقة والصديق. أبو حيان التوحيدي.
٢٦- الطبقات الكبرى. محمد بن سعد.
٢٧- العقد الفريد. ابن عبدربه.
٢٨- عيون الأخبار. ابن قتيبة.
٢٩- الكامل في اللغة والأدب. أبو العباس المبرد.
٣٠- كنز العمال. علاء الدين علي الهندي.

obeikandl.com

الفهرس

هذا الرجل:		٥
المقدمة:		٧
الفصل الأول:	المعدن الطيب، والأصل الكريم	١١
	أولاً – جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه	١١
	ثانياً – أسماء بنت عميس رضي الله عنها	١٤
الفصل الثاني:	ولادة عبدالله ونشأته في رعاية النبي ﷺ	١٧
الفصل الثالث:	عبدالله بن جعفر مع أبي بكر وعثمان رضي الله عنهم	٢٣
الفصل الرابع:	عبدالله بن جعفر مع الإمام علي رضي الله عنهم.....	٢٥
الفصل الخامس:	عبدالله بن جعفر مع الحسن والحسين رضي الله عنهم ..	٢٩
الفصل السادس:	عبدالله بن جعفر مع معاوية وابنه يزيد	٣٥
الفصل السابع:	عبدالله بن جعفر مع عبدالله بن عمر رضي الله عنهم ..	٤٩
الفصل الثامن:	عبدالله بن جعفر مع عبدالملك بن مروان	٥١
الفصل التاسع:	في بعض أخبار جوده وكرمه رضي الله عنه	٦١
	علم عبد الله بن جعفر وروايته.....	٧٤
الفصل العاشر:	وفاة عبدالله بن جعفر، وبعض ما قيل فيه	٧٧
الفصل الحادي عشر:	بعضٌ من أخبار أزواجه وأولاده	٨٣
الخاتمة	.....	٩٥
المصادر والمراجع	.....	٩٧

obeikandl.com

obeikandl.com

العبيكان
Obeikan
٢٣٤٦٥٤٧ (٠١)